روائع المسرح العالمى

٧٣



الطائر الأزرق

أحدوثة من عالم السحر
في ستة فصول

بقلم : موريس ميترلينك
ترجمة : يحيى حقى
مراجعة وتقديم : عبد الرحمن صدقى

الدار المصرية للتأليف والترجمة

روائع المسرح العالمي
٧٢

الطائر الأزرق

أحدوثة من عالم السحر
في ستة فصول

بقلم : موريس ميترلينك
ترجمة : يحيى حقي
مراجعة وتقديم : عبد الرحمن صدقي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

موريس ميترلنك
والمسرح الرمزى
١٨٦٢ — ١٩٤٩

موريس ميترلنك ـ البلجيكى موطناً ، الفلامنكى محتداً ونسباً ، الفرنسى مقاما وقلما وأدبا ـ شاعر من أبدع الشعراء فى معانيه وبيانه ، وحكيم من أكبر الحكماء فى زمانه ، وهو غزير الانتاج متنوعه ، تجمع مؤلفاته بين ما يستولى على عقول الخاصة من المفكرين ، وما يؤثر فى قلوب السواد من جمهور القارئين .

وتأييدا لهذه الصفة المميزة التى أوردناها فى مستهل هذه التقدمة ، نجد لزاما علينا ايراد الشواهد ، وتكفينا منها هنا لضيق المقام الاشارة الى هذين المثالين من مؤلفات ميترلنك ، وهما من جهة الموضوع جِدّ مختلفين .

الأول مبحث فى التاريخ الطبيعى ، وهو كتابه عن « حياة النحل » الذى ترجم الى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات ، والكتاب صغير فى حجمه ، ولكنه لا حدّ لسحره ، سواء عند المتخصصين من العلماء ، أو من ليس لهم فى هذا الخصوص ادعاء . والعجيب

فى أمره أنه حوى بين دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمى ، من غير أن يحمل مثلها طابعَ البحث العلمى .
ولا خفاء فى أن السر فى ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وشاعر ، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته ، فهو قد اعتمد فى كتابه على طول المشاهدة والدرس ، ولكنه فوق ذلك كان فى خلوصه الى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق، ويتعمّقها بعقل الحكيم ، ويرويها بلسان الشاعر . فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يقوله كأنه نفث ساحر . وهو فى ذلك ما تعدّى قول الحقيقة ، وانما أفاض عليها من حماسته وشاعريته ، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته ، ما جعل الحقيقة تبدو كالخيال عجيبة بديعة .

أما المثال الآخر فهو ــ كما سنرى ــ أبعد ما يكون عن البحث فى التاريخ الطبيعى ، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزى ، وهى بعينها التى بين أيدينا : مسرحية « الطائر الأزرق » . وهذه المسرحية التى تعمّد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنيّات وهى المفروض أنها للأطفال ، تتضمن خلاصة فلسفته .

ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحى « موريس ميترلنك » ، هى ثمرة تجاربه النفسية ومطالعاته وتأملاته الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين ، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كطرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ الى هذه المرحلة من عمره .

كان الشاب « موريس ميترلنك » في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفاته عام ١٨٨٩ ، وأولاها مجموعة أشعار بعنوان « الأكنان الدافئة Serres Chaudes طبعت منها مائة وخمسا وخمسين نسخة احدى دور النشر في باريس . وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار الشعرية لا تمت الى واقع الطبيعة ، بل هي نظائر لها يبلغ من لطفها وشفوفها أنها تبدو وكأنها أطياف في المنام من نسج الأحلام ، ومثل هذه الأشعار كثيرا ما تشغل الخاطر وتثير الشجون بما تنطوى عليه من الشعور الغامض والروح الحزين . وأمام هذا النزوع للخفاء والغموض ، والهروب من الواقع المبتذل المحدود ، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب ، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات ، وتعمد الايقاع الجديد ، لا يمكن أن يخفى على القارىء تعرّف سمات ذلك الفريق من الشعراء الذى منه « جوستاف كاهن Gustave Kahn و « شارل موريس Charles Morice و « لافورج Jules Laforge » وغيرهم من شباب الفنانين المنتمين الى مدرسة الشعر الجديد ، مدرسة الرمزيين التى رفع لواءها « بودلير » و « مالارميه » و «رامبو » من متقدمى الأعلام المشهورين .

كذلك طبع الشاعر البلجيكى الشاب بعد أشهر من طبع مجموعة أشعاره في باريس مسرحية بعنوان «الاميرة مالين» «La Princesse Maleine وقد تولى مع صديق له طبعها في وطنه بلجيكا بمطبعة تدار باليدقام هو بادارة عجلتهافي حجرة مربعة صغيرةفي مكان كالاسطبل

بـبــلدته « غنت Ghent » ، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد يتجاوز عددها الثلاثين نسخة . ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المـاية والخمس والخمسين نسخة وهى الحد الأقصى الذى لم يكن يتعـداه شـباب الكتاب فى هـذه المدينـة القديمة تظاهرا بالدلال وتحديا لقلة الاقبـال . وكان هـذا العـدد المحدود يدخـل فى عداده ما يرسـل عادة لنقـاد الصحف والمجـلات .

وكان المؤلف الشـاب مقيمـا فى بيتـه الريفى فى ناحيـة (أوسـتاكر Austacker) بالقرب من « غنت » ، فاتفق ــ فى الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهـو جالس الى المـائدة يتناول فطوره ــ أن جاءته جريدة الفيجارو الباريسية ، فاذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقـال بقلم ناقـد الجريدة المسرحى الكاتب المعروف « أوكتاف ميربو Octave Mirbeau » ، استهله بما يلى :

(انى لا أعرف شـيئا عن « موريس ميتر لنك » ، لا أعرف من أين هو ، ولا كيف هو . لا أعرف ان كان شـيخا كبير السنّ أو فتى فى ربيع العمر ، غنيـاً وافر المـال أو فقـيراً رقيق الحـال ، لا أعرف . كل ما أعرف أنه ما من انسان يجهله النـاسُ أكثرَ من جهلهم اياه ، كما أعرف فى الوقت نفسه أن هذا الانسان نفسَه أتى بآيةٍ رائعةٍ من الآيات ، آية ليست من قبيل هذا النوع الذى تعد له البطّاقة مقدما باسم المعجزة من قبل ظهورها ، كتلك المعجزات التى يطالعنا بها كل آن أساتذتنا من الشبان ، فتتغنّى باسمهم وتلهج

بذكرهم وتسبّح بحمدهم على كل نغم من الأنغام ، وبكل لحن من الألحان تلك القيثارةُ الحديثةُ الضخمة ، أو ــ بعبارة أصح ــ ذلك المزمارُ الصاخب الجبار : الصحافة . كلا ، انها معجزة من نوع آخر ، آية رائعة ، خالصة ، خالدة ، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها ، وتقديس ذكره ، عند جميع المنهومين المتعطشين الى ما هو رائع وعظيم ، : آية كالتى حلم فى بعض الأحايين بتحقيقها الفنانون الشرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم ، ولكنهم لم يحققوها الى اليوم ، وأخيرا طلع علينا السيد « موريس ميتر لنك » بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر اصالةً وعبقرية ، عمل يجمع بين أبدع الغرابة وأعذب البساطة ، حتى ليضارع بل أكاد أقول ــ اذا أسعفتنى الجرأة ــ انه ليفوق فى روعة جماله أجمل ما فى شكسبير . هذا العمل الأدبى مسرحيةٌ اسمها « الأميرة مالين ») .

قرأ الشاب البلجيكى مؤلف مسرحية « الأميرة مالين » هذا المقال فى الصحيفة الفرنسية ، فلم يكد يتمه حتى أحس انفجار شىء فى نفسه ، انفجر سد من القلق كان لا محالة يضيق به صدره حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه ، ويعوق دون انفساح مجراه ، وتدفق المحتبَس من فيضه الى مداه ، والاطمئنان الى جدواه . ان ما قيل عنه فى صحف بلاده فى ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القبيل : « ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق ، لا يدرى أحدٌ بعدُ أهو بصيص مصباح صغير أو نجم

بعيد » . أكان هذا القول وأمثاله فى صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة فى نفس كاتب مجدد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن الى حاله ؟ أين هذا من فورة الاعجاب فى مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقال فى حماسة الاستقبال حتى لقد خيل الى والد المؤلف فى دهشته من كل هذه المبالغة فى الاحتفاء ، أنها مقصودٌ بها الى السخرية والاستهزاء بولده . ولكن المؤلف فى واقع الأمر كان جديراً بالثناء ، وانما هى المبالغة وحدها كادت تفوت على القراء مدلولها وتفسد أثرها .

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسته للمؤلف الشاب البلجيكى الى حد المقارنة بينه وبين شكسبير أعظم شعراء العالم ، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يحد بين الاثنين، فاننا نحمد على الأقل لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكورة الأولى لمسرح « ميترلنك » ، قد أسلمنا طرفاً من الخيط الذى يؤدى الى استكشاف جانب هام فى تكوين ميترلنك نفسه ونشأة مسرحه .

ولقد كان مولد « موريس ميتر لنك » فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ فى مدينة « غنت Ghent » الواقعة فى ملتقى النهرين (ليس ـ و ـ اسكو) باقليم الفلمنك Flandres » وفيها كانت نشأته حتى تجاوز الخامسة والعشرين ، وهى مدينة قديمة من أجمع المدن لخصائص الاقليم ، تتحدث جدرانها المسودة من قدمها بالماضى الحافل بالحياة المزدحم بالذكريات ، كما تشتم

رائحة الموت والانحلال من الرطوبة المنبعثة من ذلك العدد المديد من القنوات . ثم هي أعمر ما تكون بالأديرة والمصانع في وقت معاً ، فهي مدينة أهل الصناعة العاملين وأهل الله المتصوفة الزاهدين . فلا غرو أن يكون لهذا الاقليم ، بجوه المعتم القاتم وبيئته الحسية الصافية، مالابد منه من الأثر الذي يتفاوت بحسب الملابسات ، في حساسية الأجيال المتعاقبة .

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبيرٍ من أشهر مشاهير التاريخ من مواليد مدينة « غنت » نفسها ، وهو الامبراطور شارلكان الذي اجتمع له في العالمين القديم والجديد عظمة الملك الواسع الذي لا تغرب عنه الشمس ، وجبروت الحاكم المطلق الذي لامعقب عليه،ومظاهر السلطان الذي ليس كمثله سلطان ، فنزل في عام ١٥٥٦ عن هذا جميعه ايثاراً لحياة النسك في دير « يوست Yuste » غربي اسبانيا ، وفي هذا الدير طلب قبل وفاته أن تُقام شعائر جنازته أمام عينيه في حياته .

هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على احساس «موريس ميترلنك» وتفكيره ، في شعره وفي مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثه واختلاف موضوعاته . ولما كان مدار الحديث هنا على مسرحه ، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته . وحسبنا لكي نبلغ الغاية أن نراجع مسرحياته الأولى ، الطوال منها والقصار ، كلها أو بعضها ، لنرى هل الحياة فيها ما برحت على تكرارها هي الحكاية نفسها ، حكاية يحكيها أبله معتوه ، كلها ضجيج وصخب ، ولا طائل من ورائها غير العذاب والتعب ، ثم يطوى الردى أبطالها دون أن

يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها ؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون ، أتراهم أجيالا بعد أجيال ، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت أو طويلة ، يسلكونها أجمعون عمياناً كانوا أو مبصرين ، كالسارى الذى طال فى الليل سراه يردد هذا القول أو ما فى معناه ، « أنا الانسان التائه لا يدرى أين هو ذاهب » ؟

أجل انها جميعا نفس المأساة ، مأساة القدر المتحكم فى الحياة كلها ، فى سائر أمورها صغيرها وكبيرها ، ليسلم الحياة ــ كل حياة ــ آخر الأمر الى الموت الراصد منذ الصغر لها ، المتربص بها ، وهى أبدا شاعرة به وهو يحوم حولها ، متوجسة منه ، متجنبة له . وقد تحاول الحياة تناسى الموت والتغلغل عنه ، ولكنه لا ينساها ولا يغفل عنها لحظة ، حتى تحين الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع روحها ، سيان كانت على انفراد وحدها ، أو بين أهلها وأحبائها أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة اليها المتعلقة بها :

فهذه « الأميرة مالين » ــ فى أولى مسرحيات « ميترلك » ــ صبية كالزهرة الجنية فى رقتها وحسنها وبراءتها ، وهى وحدها بالليل فى حجرتها ، ولكنها مسهدة قلقة ، تحس أن خطرا تجهله يهددها ، وفى الواقع كان هنالك قتلة لا تعرفهم ائتمروا لسبب لا تعرفه على قتل الأميرة الصغيرة ، انهم على السلم السرى المؤدى الى باب خفى فى جدار من جدران حجراتها . انها تجهل كل شىء عن هذا الممر الخفى ، وتجهل أمر القتلة كل الجهل ، ولكنها تعرف أنها الليلة هالكة ، تحس أن الموت قريب منها . أهى تلك الخطوة

البعيدة التى خيل اليها أنها سمعتها ؟ لكم سمعت مثلها كل ليلة فى نواحى القصر . ولكنها فى هذه الليلة رهيبة مخيفة ، مروعة كأنما تؤذن بالشر . ان هذا الشر آت لا محالة . انها لتشعر بوجود غير منظور ، غير منظور ، ولكنه حقيقى الى حد فظيع ، انه يرعبها فيجمد الدم فى عروقها . ويطول موقف الأميرة على هذه الحال ، فاذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها ، لا اشفاقا عليها من القتلة المؤتمرين على قتلها ، بل على أنفسنا من الأقدار ، من القوى المجهولة التى تتصرف بنا وتسوقنا كما شاءت ، والى حيث شاءت دون ارادتنا ومن غير علمنا .

هذه المسرحية « مالين » من الناحية الزمنية أولى مسرحيات « ميتر لنك » ، وقد كان تأليفه لها تحت سماء بلدته قبل النزوح الى باريس ، وهى ـ على ما فيها من التردد الطبيعى ـ بمثابة النموذج الأول لما سيأتى فى أعقابها من عمل مسرحى ، فنحن واجدون فيها ذلك الاطار من المناظر التى يخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض ، بحيث يبدو المكان كأنه فى بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيقته الواقعية . وهنا تطالعنا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأشجار العالية الساهمة ، وعلى مسافة منها القصور القديمة ، دهاليزها وأسرابها لا آخر لها ، وأقباؤها الضخام الثقيلة كأنها على النفس جاثمة ، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة ، وحدائقها المهملة ملتفة الشجر كثيفة الورق مظلمة . والصروح المحصنة بأبهائها الفاخرة المتهدمة ، العامرة الموحشة ،

تعيد الى الذاكرة ذكريات ما شهدته في الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم ، مما أوقع الروع لا محالة في نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم ، فهم نهب الهواجس والمخاوف يشتركون فيها ، على الرغم من قلة التفاهم بينهم للفارق الكبير بين أعمارهم .. والى هذا كثير من أمثاله ، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلدته القديمة ، وما أفاده من خلال مطالعاته وزاد عليه من تخيلاته .

في هذه المسرحية التي لم يفكر مسرح في تمثيلها ، تظهر محاكاة « متر لنك » لشكسبير في كثرة المناظر وتعددها في كل فصل من فصولها ، وفي ازدحامها بالشخصيات الملكية ، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة ، وفي الغراميات المتعارضة ، وكل هذه التنبؤات والنُّذر قبل المقتلة الختامية .

ولكن هذه المحاكاة للوقائع تقف عند حد الظاهر ، لأن «ميتر لنك» في عرضه شخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد الى واقعيتها ، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعي ، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية في عصره قد أخفقت ، ويرجع اخفاقها الى أنها اتجهت شطر صغار الحقائق ـ تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التي لا كنه لها ، ولا كبير طائل وراءها ـ بدلا من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى ، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأشياء كلها ، أو بعبارة أخرى « تلك القوى الخفية » ، وبأوجز لفظ « ذلك المجهول » فهو وحده الذي يعني الفنان الرمزي بحيث لا يمل ذكره ، ولا يستهويه غيره ، ولا تشغله الظواهر عن أمره ومحاولة استكناه سره .

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن ميتر لنك ـ أو شكسبير البلجيكي على حد ما سماه « ميربو » في مقاله الحماسي ـ لم يلبث أن أدرك أنه في غير حاجة الى أصحاب العروش ذوي الهامات المتوجة، ومن حولهم الأمراء والحاشية ، وكل ما هنالك ـ في مسرحية مالين ـ من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة ، فضلا عن ذلك التفنن في ابتداع الموضوعات الفاجعة . نعم أدرك ميتر لنك أنه في غير حاجة الى جميع هذا ، اذ أن أبسط الحوادث العادية في الحياة اليومية يغني عنه ، وقد يكون أعمق أثراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف ما يريده في مسرحه الرمزي من اشعار الجمهور بما وراء الأشياء والأحداث من القوى الخفية أو سلطان القدر ، أو بالاختصار ما ينطوي تحت لفظ « المجهول » .

وعلى هذا جرى المؤلف في مسرحياته التالية ، وهي قصار في القالب الأعم .

ونذكر من تلك المسرحيات القصار مسرحية « الدخيل » من فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة في قصر قديم ، حيث يجتمع أشخاص المسرحية وهم الجد الضرير ، والأب والعم والبنات الثلاث ، ولا يضيء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه خافت ، والكل فيها يتهامسون بصوت خافت كذلك ، وهم جميعا واجمون مسهدون . وفي غرفة مجاورة ترقد تلك التي يفكرون فيها وعنها يتهامسون ، المريضة التي يتهدد الخطر حياتها ، ومن أجلها كان اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً ، ومن هذا القبيل

ما كان يدور من المقال بين العم والأب : « ان طلعتها تبدو منذ العصر على أحسن ما يرام ، وهى تنام نوما عميقا الآن ، فهل ترانا ننغص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا • من رأيى انه يحق لنا أن نستريح ، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى شيئا » •

ولكن الجد الضرير كان يستبد به القلق ، فلم يكن ليهدّئ من روعه شيء • لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون • ذلك أنهم مبصرون، والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق • أما هو فقد حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر ، فأصبح اتصاله بالعالم عن طريق الحواس الباطنة • انه الوحيد الذى كشف العمى عن بصيرته ، فهو يرى قبل سواه كل شيء على حقيقته • انه يحس بالخطر يزداد ، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات ••• ومنذ هذه اللحظة تتركز المأساة كلها فى الشيخ العجوز ، فى تباريح لوعته التى تنعكس فى ازدياد واشتداد على طلعته ، ويضاعف الأثر ما يشيع فى جو الغرفة من دواعى الفزع متوافداً من خارجها متصاعدا من أرضها ، فثمة عصفةٌ من الريح تهب ثم تسكن ، وشدو البلابل ينقطع ويسكت،ووقع خطوات خاطفة مرقت فى الحديقة،ولمحة من البستانى وهو يشحذ تحت جنح الليل منجله ، وعشرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها ، ولكن تكرارها متلاحقة تألف منه وعيد وتهديد بالخطر • عندئذ لم يستطع الجد الضرير الا اظهار الفزع ، حتى اذا جاءت لحظة أحس فيها الجد الضرير بين

المجتمعين بوجود لم يشعروا هم بوجوده ، ندّت منه الصرخة المخنوقة • وفجأة ينفتح الباب ويغمر الغرفة فيضٌ مباغت من ضياء • وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على صدرها اشارة الصليب التي يستدل منها أن المريض مات •

ومع هذه المسرحية نشر المؤلف في سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى مثلها عدد شخوصها اثنا عشر ، ستة رجال وست نساء وكلهم عميان ، ومن هنا سميت « العميان » • وهؤلاء الخلق من العميان نراهم في الظلام وحدهم في غابة من غابات الشمال تبدو عريقة في القدم كأنها كانت هنا منذ الأزل ، ومن فوقهم سماء غائرة النجوم ، وهم ينتظرون ، ينتظرون من غير أمل ، ولكنهم مع ذلك ينتظرون • انهم في انتظار قس ، رجل الله ومبعوث العناية ، انه نورهم الهادي ودليلهم المرشد ، لقد كان يتقدمهم ويقودهم ، ثم غاب عنهم وطال غيابه • وانهم ليتحسسون طريقهم في الغابة بحثا عنه ، وفجأة يقع في روعهم شعور مبهم تقشعر منه أبدانهم ، شعور بوجود شيء غريبٍ عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب • ولم يكذبهم حدسهم • انه الموت ، فهنالك عند جذع الشجرة أسند القس ظهره جثة هامدة •

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعرك بأن مقصده الأخير ليس هو الدعوة الى اليأس ، يأس الانسانية من جدوى السعى والأمل في الهداية الى سواء السبيل ، فانه على رغم ذلك الاخفاق والفشل يشير الى استمرار الانسانية في الأمل ، فان الستار ينزل على أبطال مسرحيته « العميان » وهم لا يزالون ينتظرون •

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات « ميتر لنك » ، على ما فى حتمية واقعها الموحش المظلم اليائس المؤلم من رهبة وقسوة ، أن تستهوينا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية وبهجة النضارة الفتية لفرط ايمان المؤلف بالحياة ، وعمق شعوره بتلك الغريزة الكونية ، غريزة الحياة الغلابة القوية التى أورثت سائر الاحياء ما فيهم من قوة الجلد والعناد ، كالذى نشهده فى النملة الصاعدة على العود وهى تسقط مائة مرة ، وفى كل مرة تعاود الصعود ... أو مثل ذلك الانسان الذى حكمت عليه الآلهة أن يدفع الحجر الكبير الى أعلى الجبل ، فلا يزال الحجر كلما بلغ به الى قمة الجبل يتدحرج الى أسفل، وهوماض معذلك فى تأدية العمل الموكول اليه . ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت الا كذلك بطبيعتها ، وهذه ارادتها . ولا يكون الحى حيا حفل حياته الا اذا استجاب ـ طائعا أو كارها ـ لغريزتها ، وعمل بارادتها وان جهل غايتها .

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن « ميتر لنك » خاطر الموت ، فقد كان هذا الخاطر يلازمه منذ حداثته فلم يكف عن التحدث عن الموت فى شعره وفى مسرحياته وسائر كتاباته ، بصريح الاسم تارة ، وتارات أخرى بمختلف الكفايات ، وجملة ما يقال آخر الأمر أن الموت كان عند « ميتر لنك » موضوع تفكيره طوال العمر ، وأنه قضى السبعة والثمانين عاما من حياته وهو فى انتظار لقائه ، لقاء ذلك الصاحب المجهول وجها لوجه .

ومع ذلك فقد وقعت فى حياة « ميتر لنك » بعض تغييرات مادية

وأخرى وجدانية يمكن أن يُرَدّ اليها ما يلاحظ على مسرحياته التاليـة من تسرّب نوع من الرجاء ، كالشّعشاعِ من الضياء في الليل الحالك .

ونذكر من تلك التغيرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو الشمال البلجيكي الغائم القاتم ، الى الجنوب الفرنسي المشرق الباسم في مدينة نيس أو على مقربةٍ منها حيث كان يقضي معظم العام على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ولكن هـذا التأثير المادي لا يذكر الى جانب التأثير الوجداني ، ونعني به تأثير المرأة ، وبعبارة أدق وألطف : الحب .

كان ميترلنك لا يزال مقيما في اقليمه الفلمنكي في بلجيكا حين التقى في العاصمة البلجيكية في احدى الليالي بالمرأة التي أصبحت رفيقة حياته ونجية نفسـه وموضع سره نحواً من العشرين عاما ، وهي السيدة الفنانة « جورجيت لبلان Georgette Leblanc » وكانت في ذلك الحين تغني « تاييس » و « كارمن » وغيرهما من الأوبرات في التياترو الملكي في ميدان لاموناي Place de la Monnaie الذي تحف به المقاهي والمطاعم على مختلف أنواعها ويعتبر مركز الملاهي في العاصمة . وقد اتفق هذا اللقاء في دار محام من المحامين الكبار مشهورٍ بدعوته الى التجـديد في الأدب البلجيكي ، وكان الشاب ميترلنك يزاول في مكتبه المران على المحاماة على كره منـه نزولا على ارادة والديه ، وكان صاحب الدار قد أعدّ مأدبة عشاء

عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم فيهـا مسرح دى بارك Theatve du Parc مسرحية « الأب » للأديب السويدى استرنبرج Strindberg وكان ميتر لنك من المدعوين الى هـذه المأدبة ، فترك النحل فى بلدته تلبية للدعوة ، فهو كعادته ، سيماء الجد على سحنته ، يلتزم الصمت ويبدو كالحالم ، مع شيء من الشعور بالقلق وعدم الارتياح كشأنه فى المدينة . ولم يكن هذا الصـوت الوقور المستغرق فى التفكير ليخطر فى باله أنه فى هذه الليلة سيلقى فى شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة جورجيت لبلان ماأعده له المقدور . وكانت القاعة على حين بغتة قد سادت عليها لحظة صمت عميق ، فاذا بها قد طلعت على الحضـور ، وهى تمشى الهوينى متخطِّرة متهادية ، وعلى جبينها حليةٌ من الذهب كأنهـا شـارة السلطنة ، ومن ورائها ينسحب ثوبُها المجرور الذى يشنّف الأسماع بحفيف الحرير ، وقد قام صاحب الدار بينهمـا بواجب التعريف ، فبدرت منها عند تقديمه لها صيحةٌ مقتضبة خفيفة ، أما هو فقد رفع كالقروى بصره اليها مرتبكا ، وأحنى لها صَعْدَته فى غير لباقة ، على حين ردت له التحية بانحنـاءة من تلك الانحنـاءات العميقة التقليدية ، بدت فيهمـا وكأنها الملكة الشـابة البيزنطية من لطف تأديتها المراسم الملكية ، متعمدة أن تضع فى هذه الحركة كلَّ براعتها التمثيلية ، لتكون منها بمثابة تحية الفن للفن .

وفى أثناء العشاء كان ميتر لنك يطيل النظر اليها دون أن يخوض فى الحديث معها .

وكان ميتر لنك حين تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفا موفور الشهرة ، عامر البدن بالعافية والصحة : ميسور الحال لايعوزه المال ، ومع ذلك فان هذا الرجل الذى أنعم عليه بكل هذه الخيرات كان فى دخيلة نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والملل . ولقد دعا الفنانة الحسناء الى بلدته « غنت » حيث أولم لها وليمة فاخرة على الطريقة الفلمنكية ، ثم خرجا للنزهة فى الشوارع الغائمة القاتمة المكتئبة ، وكان ميترلنك قليل الكلام ، ولكنه أفضى مع ذلك بجوهر الكلام ولبابه ، قال : « انى غير مؤمن لابالسعادة ولابالحب » . فاحتفظت المرأة بهذا التصريح فى سويداء قلبها ، وآلت على نفسها لتعلِّمَنَّه ذلك الفن الشاق ، فن التسليم للحياة والاطمئنان اليها والتعويل عليها . فما انقضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية تختلف عما سبقها كل الاختلاف ، مسرحية لم يَعُدْ يعصف فيها عاصفُ الجزع والخوف ، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء .

لقد كان ميتر لنك لا همّ له فى مسرحياته الا تمثيل القدر المحتوم على البشر فى صُوَر الشقاء والعذاب والموت وهى مقبلةٌ علينا الواحد بعد الآخر فى خُطىً ثابتةٍ لا شىءَ يثنيها ويفتّ فى عزيمتها أو يعتاق سيرتها أو يقف فى مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها وبين فريستها ، كانت هذه الفكرة مستبدة به مسيطرة عليه فى المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفى ، فاذا به فى المرحلة الثانية ينفض عنه هذا التسليم للقدر ، ويتحدث عن الصراع غير مكتفٍ فيه بما كان من ذلك التخبّط السلبى ، تخبّط العاجز ، الشاعر بعجزه فى

قبضة القـدر . بل الصراع الحقيقى عفى مستوى البشر بين بعضهم البعض ، والصراع الايجابى بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعـادلة . ولا عليهم من ألا يكون لهـم النصر فى آخر الأمر . ويظهر هذا الصراع واضحاً فى مسرحية « أجلافين وسليزيت » Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقـوم الصراع بين المرأتين عـلى رجـــل هو مليـــاندر Méleandre وهو صراع كأشد ما يكون الصراع الحقيقى ، ولكن كفة احداهمـا لا تلبث أن ترجح على كفـة الأخرى لأن العـلائق التى تربط بين « سلزيت » وهذا الرجل ليست نسبياً الا علائق سطحية على المستوى البشرى ، فى حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى « أجلافين » بهذا الرجل توثقـاً واشـــتداداً فى قوة الارتبـــاط ، وتأثلاً وايغالا فى الأعماق . وذلك أن انجذاب كل من الاثنين ـ هذا الرجل وهـذه المرأة بالذات ـ الى الآخر غير مقصور على رغبتهما البشرية ، بل من ورائها قوة خفية أقوى منهما : هى تلك الجاذبية الميتافيزيقيـة التى لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها ، ولا نستطيع غير الانقياد لهـا والنزول على أمرها .

ولا تحسبنا مخطئين اذا رأينا فى شخصية « أجلافين » شخص الفنانة « جورجيت لبلان » ، فقد كان لقاؤهما على النحو الذى جاء وصفـه فى المسرحية تماما فهما ـ كما جاء فى المسرحية ـ سواء فى المقابلـة الأولى على غير موعد ، أو فى الموعد الأول ـ لم يتبـادلا الا أبسط الكلمات وأكثرها تداولا بين عموم الناس ، فاذا بهما ـ مع ذلك ـ

يشعران بأنهما لاغنىً لأحدهما عن الآخر ، ولا حياة له بغير صاحبه ، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامت صحبتهما نحواً من العشرين سنة . ولقد حرص المؤلف فى اثر تأليفه لهذه المسرحية على الكتابة الى الفنانة يحدثها عن بطلته الجديدة ، فيقول هذا الذى قال فى أول حديث بينهما : «انى غير مؤمن لابالسعادة ولا بالحب» .. يقول اليوم (لقد حملت الىّ « أجلافين » مالا عهد لى به . جوّ جديد وارادةٌ للسعادة وقوة على الرجاء) .

ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات ميتر لنك المسرحية وغير المسرحية ، حتى ليشعر القارىء لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة من الجو القاتم المتلبد بالضباب الى جو آخر تَمزق ضبابُهُ فعرف الاشراق ودخل اليه النور مُشَعشِعاً هنا وهناك فى الآفاق ، وكشفت الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها ، فاكتست بالزهر والريحان من مختلف الألوان ، وأخرجت لنا الأيام أبطالا وبطلات أقل خوفا من الحياة وأكثر شجاعة وهمة .

ولا نقصد بهذا القول الى أن ميتر لنك قد تخلى عن فلسفته وعن تفكيره الدائم فى القدر والموت . كلا ، فان الشىء الذى تغير لم يكن هو القدر والموت ، وانما هو نظرة ميتر لنك اليهما وطابع شعوره بهما ولون تفكيره فيهما ، حتى لنرى مؤلفنا المسرحى أميلَ الى جعل الشقاء والعذاب والموت فى خلفية المسرح ، وعرض ارادة الحياة ونشدان السعادة فى مقدمته .

وحسبنا للتحقق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التى طلع بها علينا المؤلف فى السنوات العشر الأخيرة فى القرن الغابر وهى مسرحيات المرحلة الأولى التى قدمنا للقراء عرضا موجزا لموضوعها ، وبين أشهر وأبدع مسرحياته فى أوائل القرن الحاضر ، وهى « الطائر الأزرق » التى نستأذن القراء فى أن نعفيهم من ايراد خلاصتها فهى لا تغنى عن الاستمتاع الكامل بقراءتها فى الترجمة التى بين أيدينا .

وهذه المسرحية التى ضمّنها ميترلنك ما بلغه وهو فى طور النضج من تطور فى النظر والشعور والفلسفة ، قد شاء له هذه المرة فنه — كما أشرنا فى مستهل كلامنا — أن يصبها فى قالب قصة من قصص الجنيات . وقد يبدو هذا من عجيب الأمر . ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان ، بما حقق فى هذه المسرحية من نجاح لم يتحقق له فى غيرها ، أقام الدليل على أن هذا الأسلوب هو أسلوبها ، هو الأسلوب الذى يناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحث عن السعادة ، تلك الضالة المنشودة التى افتقدها فى الطبيعة أبناء الأرض، وهؤلاء هم — فى المسرحية — يبحثون عنها فيما وراء الطبيعة على نحو رمزى بديع شاعرى لا يثقل على النفس ، بل يثير الخيال ويسكر الحس ، وعن طريق الجمال والخيال يوقظ الذهن والتفكير .

ومسرحية الطائر الأزرق من خمسة فصول فى عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ بالمسرح الفنى فى موسكو ، ثم صدرت طبعتها الأولى فى باريس

عام ١٩٠٩ ، ثم مثلت فى ترجمتها الانجليزية على مسرح هايماركت Haymarket فى لندن فى ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ ولقد شجع نجاح تمثيلها فى الخارج على استقبال المسارح الفرنسية لها فكان أول المسارح التى فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) فى الثانى من مارس سنة ١٩١١ وهى السنة التى حصل فيه على جائزة نوبل .

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافى بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزى «موريس ميترلنك»، وتحليل مسرحياته الرمزية فى المرحلة الأولى ثم فى المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التى قامت عليها أشهر وأبدع مسرحياته الأخيرة ؛ وهى «الطائر الأزرق» ، نرى لزاما علينا أن نحيى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حقى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بين أيدينا ، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بين الفلسفة والتصوف وروح الطفولة ، حتى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها ، من حيث الأمانة فى نقلها وحسن المطابقة لها ، كصورة الحسناء فى مرآتها فاليه نزف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها .

عبد الرحمن صدقى

الفصل الأول

الطائر الأزرق

١ ـ المنظر الأول : كوخ الحطاب

(المسرح على هيئة كوخ حطاب من الداخل ، بسيط المظهر ، ريفى البناء والمتاع ولكنه لا ينم بحال عن تعاسة العوز والفاقة ، مدفأة مستورة لأنها محفورة داخل الجدار ، بها حطب نعست ناره ، آنية مطبخ ، صوان ، صندوق لحفظ الخبز ، ساعـــة طويلة موروثة عن الأجداد ، تعمل بثقالين ، عجلة مغزل ، حـــوض للغسيل الخ الخ ، مصباح مضىء على منضدة ، أمام الصـــوان كلب فى جانب وهرة فى الجانب الآخر ، كلاهما يرقد وقد تقبض جسده وجمع أنفه الى ذيله ، وبين الاثنين قمع سكر كبير ملون بالتناوب بالأبيض والأزرق ، قفص مستدير مثبت على الجدار ، به عصفور ، فى غيابة الكوخ نافذتان ، خصاصهما مغلق ، تحت احدى النافذتين دكة من الخشب ، على اليسار: الباب الأمامى للكوخ ، عليه مزلاج كبير ، باب آخر على اليمين ، سلم يؤدى من الخشب ، يؤدى الى المخزن ، على اليمين أيضا مهدان من الخشب ، على رأسيهما كرسيان فوقهما ثياب مطبقة بعناية •

عند رفع الستار نرى الولد « تيلتيل » والبنت « ميتيل » يغطان فى سبات عميق فى مهـديهما ، « ماما تيــل » تحبك الغطاء حولهما وتنحنى عليهما تتأملهما لحظة وهما نائمان ، ثم تشير الى « بابا تيل » وقد أبرز رأسه من الباب الموارب ، فتضع « ماما تيل » سبابتها على فمها لتفرض عليه بالأشارة التزام الصمت ، ثم تخرج الى اليمين وهى تمشى على أطراف أصابعها ، وكانت قد أطفأت المصباح أولا ، يغرق المسرح فى الظلام برهة وجيزة ، ثم يتسلل من خصاص النافذتين نور يزداد توهجه ، يضاء المصباح ثانية من تلقاء ذاته ، ولكن بنور يختلف عن نوره حين أطفأته « ماما تيل » ـ ثم اذا بالطفلين كأنهما قد استيقظا وجلسا فى مهديهما) •

تيلتيل : ميتيل ! (١)

ميتيل : تيلتيل ! (١)

هو : أنائمة أنت ؟

هي : وأنت ؟

هو : كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائما .

هي : قل لي ، هل اليوم هو يوم يجيء عيد الميلاد ؟

هو : لم يحن مجيئه بعد ، ان موعده غدا ، ولكن عمّنا العيد لن يأتي لنا بشيء هذه السنة .

هي : ولماذا ؟

هو : سمعت أمي تقول انها لم تستطع الذهاب للمدينة لتلفت نظره الينا ، ولكنه سيأتي في السنة القادمة .

هي : أبعيد موعده في السنة القادمة ؟

هو : لا أقول انه جدّ قريب ، ولكن عمّنا العيد سيأتي الليلة الى الأطفال الأغنياء .

هي : حقا ؟

---

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الاشارة الى تيلتيل فيما بعد بكلمة (هو) والى ميتيل بكلمة (هي) .

هـو : أنظرى ، قد نسيت أمنا أن تطفىء المصباح ، عندى فكرة ...

هـى : ما هى ؟

هـو : هيّا بنا نقوم من فراشنا .

هـى : هذا مُحرّم علينا .

هـو : لا ضير ، فما من أحد يرقبنا ، أترين خصاص نوافذنا ؟

هـى : ما أبهى النور الذى يتخلّله .

هـو : انه نور الحفل .

هـى : أىّ حفل هو ؟

هـو : أمامنا ، عند الأطفال الأغنياء ، انها شجرة عيد الميلاد ، سنفتح النافذة .

هـى : أمباحٌ لنا أن نفعل هذا ؟

هـو : أىْ نعم ، ما دمنا وحدنا . أتسمعين الموسيقى؟ فلننهض !

(ينهضان ويجريان الى احدى النافذتين ويصعدان فوق الدكة ، ويدفعان مصراعى النافذة فيعم الحجرة نور ساطع ، يتطلع الاثنان بشغف للخارج) .

تيلتيل : ملكنا رؤية كل شيء .

ميتيل : (وقدمها لا يفوز الا بوقفة غير مطمئنة على حافة الدكة) أمّا أنا فلا أرى شيئا .

هو : الثلج ينهمر ، أرى عربتين تجرّ كُلاّ منهما ستة جياد .

هي : وينزل منها اثنا عشر صبيا .

هو : يا لك من مغفّلة ! انهن بنات .

هي : لا أرى الا سراويل تلفّ السيقان .

هو : نعم الخبيرة أنت بلبس البنات والصبيان ! لا تدفعيني هكذا .

هي : لم ألمسك .

هو : (وهو يحتكر الدكّة لنفسه) أنت تحتلين الدكة كلها بمفردك .

هي : كيف وأنا لا أجد فوقها موضعا لقدمي .

هو : الزمي الصمت اذن ، انى أرى الشجرة .

هي : أيّ شجرة تعني ؟

هو : شجرة عيد الميلاد ، أنت لا ترينها لأنّ نظرتك مصوّبة للجدار .

هـى : هى كذلك لأنه لم يبق لى مكان فوق الدكة .

هـو : (وهو يتخلى لها بشح عن طرف من الدكة) الآن هل اطمأنت وقفتك وفزت علىّ ؟ يا لها من أنوار فوق أنوار .

هـى : ماذا يفعل هؤلاء القوم الذين يثيرون كل هذه الضجة ؟

هـو : انهم يعزفون الموسيقى .

هـى : أهم فى حدة من الغضب ؟

هـو : كلا ، وانما عملهم مرهق .

هـى : ها هى ذى عربة أخرى تجرها جياد بيض .

هـو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر .

هـى : ما هذه الحلية المذهبة المعلقة بالغصون ؟

هـو : انها لعب ولا ريب ، سيوف وبنادق ، وجند ومدافع .

هـى : والعرائس ؟ هل هنالك عرائس معلقة أيضا ؟

هـو : عرائس ! انها لعب سخيفة لا تروقهم .

هـى : ما كل هذا الذى نثر من فوق المائدة ؟

هــو : كمك وفاكهة وفطيرة محشوة بالقشدة .

هــى : أكلت من أمثالها مرة فى صغرى .

هــو : وأنا كذلك ، انه طعام ألذّ من الخبز ولكن هــذه الحلوى لا يُبذل لنا منها الا بقدر ضئيل .

هــى : وليس هذا هو حالهم ، انها مبذولة لهم تغصّ بها المــائدة . أسـيأكلون كل هذه الحلوى ؟

هــو : نعم ولا ريب ، فماذا عساهم يفعلون بها ؟

هــى : ولمــاذا لا يأكلونها من فورهم ؟

هــو : لأنهم غير جياع .

هــى : (وقد غلبتها الدهشة) غير جياع ؟ ولمــاذا ؟

هــو : لأنهم يأكلون منها متى أرادوا .

هــى : « وهى غير مصدقة » كل يوم ؟

هــو : هكذا يقال .

هــى : هل يأكلونها كلها ولا يجودون منها بشىء ؟

هــو : على مَنْ ؟

هــى : علينــا .

هــو : انهم لا يعرفوننا .

هـى : فلو سألناهم .

هـو : هذا غير جائز .

هـى : ولماذا ؟

هـو : لأنه عيب .

هـى : « وهى تصفق فرحا » أوه ، ما أجملهم !

هـو : « فى حماس » انهم غارقون فى الضحك .

هـى : وهؤلاء الصغار الذين يرقصون ؟

هـو : نعم نعم ،فلنرقص نحن أيضا .

(يتواثبان من الفرح فوق الدكة) .

هـى : يا لها من بهجة .

هـو : الكعك يقدّم لهم ، ان أرادوا لمسه بأصابعهم فملوا ، انهم يأكلون ويأكلون ويأكلون ..

هـى : حتى الصغار منهم ، أكلوا من الكعك مثنى وثلاث ورباع .

هـو : « وقد أسكره الطرب » يا لها من لذة ، يالها من لذة .

هـى : « وهى تزعم فى الوهم انها تعد قطعا من الكعك » قد فزت أنا باثنتى عشرة كعكة .

هــو : أما أنا فقد نلت أربعة أمثـال نصيبك ، على أنني سأعطيك منها .

« يدق باب الكوخ ، تيلتيل وقد جمد وتملكه الخوف ، مخاطبا أخته » .

هــو : تُرى من يكون الطارق ؟

هــي : « في رعب » انه بابا .

(واذ يتوانيان عن فتح الباب يشاهـد مزلاجه الغليظ يرتفع من تلقـــاء ذاته ، ويسمح له صرير ، ثم ينشق الباب عن امرأة عجوز ضـئيلة تلبس ثوبا أخضر وصـدارا أحمر ، هي حدباء عرجاء عوراء ، أنفها تقوس حتى لامس ذقنهـا ، تمشي محنية الظهر تتوكأ على عصى ، لا سبيل للعين أن تخطىء أنها جنية) .

الجنية : هل عندكم العشب الذي يدندن والطائر الذي لونه أزرق ؟

هــو : لدينا عشب ولكنه لا يدندن .

هــي : تيلتيل عنده الطائر .

هــو : ولكني لا أفرّط فيه .

الجنية : ولمـاذا ؟

هــو : لأنه ملكي .

الجنية : هذا سبب وجيه ولا ريب ، وأين هو هذا الطائر ؟

هـو : « مشيرا الى القفص » انه فى هذا القفص .

الجنية : « تلبس نظّارتهـا لتتفحّص الطـائر » انه ليس مطلبى ، ينبغى أن تذهبـا لتبحثـا لى عن الطـائر الذى أريده .

هـو : ولكنى لا أدرى أين هو .

الجنية : ولا أنا ، من أجل هذا ينبغى البحث عنـه ، اننى أستطيع اذا يئست أن أتنـازل عن العشب الذى يدندن ولـكنى لا بُدّ لى من أن أجـد الطائر الأزرق ، انه لازم لابنتى الصغيرة ، هى فى شدة المرض .

هـو : وما مرضها ؟

الجنية : لا أحد يدرى حقيقته ، انها تريد أن تكون سعيدة .

هـو : حقـا ؟

الجنية : أتعرفان من أنا ؟

هـو : انك تشبهين قليلا جارتنا الست غُريّبة .

الجنية : (وقد تملكها الغضب فجأة) لا شبه مطلقا ، شتان ما بيننا ، هذه اهانة بليغة ، اننى الجنية غرباوية .

هـو : آه ، صدقنا كلامك .

الجنية : ينبغى المضى فورا .

هـو : ألست آتية معنا ؟

الجنية : هـذا مستحيل ، بسبب الحساء الذى أقمته هـذا الصباح على النار فانه يهـدد بالفوران والاندلاق اذا ما غبت عنه أكثر من ساعة ، (تشير بالتوالى الى السقف والمـدفأة والنـافذة ، من أين تريدان الخروج ؟ من هنا أو من هنا أو من هناك ؟

هـو : (وهو يشير بتهيب الى الباب) الأفضل أن أخرج من هناك .

الجنية : (وقد عاودها الغضب المفاجىء) هذا مستحيل كل الاستحالة ، ثم ان الخروج من الأبواب ليس الا عادة سخيفة ، (تشير الى النافذة) سـنخرج من هناك ، وبعد ، ففيم انتظاركما ؟ ارتديا ثيابكما على الفور (يطيعهـا الاثنـان ، ويرتديان ثيابهما على عجل وتمضى الجنية قائلة) سأساعد ميتيل .

هـو : ليس لدينا أحذية .

الجنية : ليس هـذا بالمهم ، سـأهبكما قلنسـوة صـغيرة مدهشة ، أين والداكما ؟

هـو : « مشيرا الى الباب الأيمن » انهما هناك ، نائمين ..

الجنية : وأين جدّكما وأين جدتكما ؟

هـو : مات الاثنان .

الجنية : واخوتكما واخواتكما الصغار ، أليس لكما اخوة وأخوات ؟

هـو : نعم نعم ، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات صغيرات .

الجنية : وأين هم ؟

هـو : ماتوا هم أيضا .

الجنية : أتريدان رؤيتهم من جديد ؟

هـو : نعم نعم ، على الفور ، الآن ، دعينا نراهم .

الجنية : انهم ليسوا فى جيبى ، ولكن بختكما حسن ، فسيتاح لكما رؤيتهم وأنتما تعبران « أرض الذكريات » فى طريقكما الى الطائر الأزرق ، على اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق ، ماذا كنتما تفعلان حين دققت الباب ؟

هـو : كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك .

الجنية : وأين هو ؟

هـو : في قصر الأولاد الأغنياء ، تعالى أنظرى ، ما أبهاه من مشهد « يجرّان الجنية الى النافذة » .

الجنية : (وهى بالنافذة) ولكن أفواها غير أفواهكما هى التى تأكله .

هـو : نعم ولكن يكفينا أن نرى أكلهم من هنا .

الجنية : أ فى قلبكما موجدة عليهم ؟

هـو : ولماذا ؟

الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله ، انه لخطأ كبير منهم أن لا يبذلوا لكما شيئا مما يأكلون .

هـو : لا يبذلون لأنهم أغنياء ، ما رأيك فى بيتهم ؟ كم هو جميل .

الجنية : انه ليس أجمل من بيتكما .

هـو : هيهات ! بيتنا أقلّ ضوءا ورحابة ... وليس به كعك .

الجنية : ليس هناك أقلّ فرق بين بيتهم وبيتكما ، انما أنت لا ترى .

هـو : بالعكس ، اننى أحسن الرؤية ، وعيناى لا تنقصهما حدّة البصر ، أننى على خلاف أبى أتبيّن من بعيد عقارب الساعة فى قمة برج الكنيسة .

الجنية : « تغضب فجأة » أقول لك انك لا ترى ، قــلْ لى اذن كيف ترانى ؟ ما هو شــكلى فى نظــرك ؟ (تيلتيل يلوذ بصمت المتحرّج) هيّا ، أجبنى حتى أعــرف ان كنت ترى ، أأنا جميـــلة أم دميمة ؟ (يمتــد الصمت ويزداد الحــرج) ألا تريد أن تجيبنى ؟ أأنا صبية أم عجوز ؟ وبشرتى ؟ أفى لون الورد أم هى مصفرّة كالحــة ؟ ولعلّ لى أيضــا حدبة فوق ظهرى ..

هــو : « وهو يسترضيها » لا ، لا ، ان حــدبتك ليست كبيرة .

الجنية : نعم ، لى حدبة ، ولكن دهشة نظرتك اليهــا تنبىء أنك تراها آية فى الضخامة . ألى أنف معقوصــة وعين مفقوءة ؟

هــو : لا ، لا ، انى لا أتبيّن ذلك ، ولكنْ مَنْ الذى فقأها ؟

الجنية : (وقد زاد تململها) ولكنها ليست مفقوءة يا وقح، يا لعين ، انهــا أجمل من أختهــا ، هى أوســـع وأصفى ، ان لونها من زرقة السماء ، وشــعرى هل تراه ؟ انه أشقر كسنابل القمح بل قد يُظن أنه من العسجد الخالص ، ولى من هــذا الشعر

ثروة تثقل رأسي وتفيض من كل جانب ، ها هو ذا على يدي ، ألا تراه (تعرض عليه جديلتين نحيلتين من شعر أشهب) .

هــو : نعم ، اني أرى جديلة من شعرك .

هــى : تقول جديلة ؟ انها حزمة ملء الذراعين كالنبت الملتف ، هى ذوب عسجد ، انى عالمة أن بين الناس نفر يزعم انه لا يرى منه شيئا ، ولكنك ــ فيما أؤمل ــ لست من هــذا النفر الأعمى الخبيث ؟

هــو : كلا كلا ، اننى أرى كل ما تكشف للعين منه .

الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقيته بشطارتك المعهودة ، ما أعجب بنى الانسان ! منذ أن انقضى عالم السحر قد طمست أبصارهم وخبث مداركهم ، ومن حسن الحظ اننى مزودة دائما بكل ما يبعث النور فى العيون المنطفئة . فما هذا الذى أخرجه من كيسى ؟

هــو : أوه ، ما أجملها من قلنسوة صغيرة خضراء ، وما هذا الذى يبرق فى زرها ؟

الجنية : انها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون .

هــو : حقا ؟

الجنية : نعم ، حين تضع القلنسوة على رأسك تدير الماسة قليلا من اليمين الى اليسار ، مثلا هكذا ، أرأيت؟ انها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين •

هـو : وهل سأحس بألم ؟

الجنية : على العكس ، انه سحر ستحس بلطفه ، وفى اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأشياء ! سريرة الخبز والنبيذ والفلفل •

هـو : وتتجلى لى أيضا سريرة السكر ؟

الجنية : طبعا ، انى لا أحب الأسئلة الفارغة ، ان سريرة السكر لا تفضل سريرة الفلفل ، والآن ها أنذا أمنحكما كل ما تحتاجان اليه من أجل البحث عن الطائر الأزرق ، اننى لا أجهل أن « خاتم المُلك » الذى يحجب لا بسه عن الأنظار ، وأن البساط الطائر أنفع لكما ، ولكنى أضعت مفتاح الخزانة التى كنت خبأتهما فيها ، آه ! كدت أنسى ، (تشير الى الماسة) حين تضع يدك عليها وتديرها مرة أخرى قليلا هكذا فستكشف لك الماضى ، ثم تديرها أيضا قليلا فيتكشف لك المستقبل ، انها شىء عجيب نافع يعمل فى صمت •

هــو : ان بابا سيأخذها منى •

الجنية : انه لن يراها ، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت على رأسك • أتريد أن تجرّب (تضع القلنسوة الصغيرة الخضراء على رأس تيلتيل) والآن ، أدر الماسة وانظر ••

(ما يكاد تيلتيل يدير الماسة حتى يحدث تغير عجيب يشمل كل الأشياء بغتة، وتنقلب الجنية العجوز فجأة الى أميرة جميلة رائعة البهاء وتضيء حجارة الصوان المبنية بها الجدران بلمعان الياقوت الأزرق ، وتصبح شفافة براقة تخطف الأبصار شأن الأحجار الكريمة ، الأثاث الفقير تدب فيه حياة ذات بهاء ، المنضدة المصنوعة من الخشب الأبيض تصبح تنطق بالوقار والمجد مثل منضدة من المرمر ، ووجه الساعة يغمز بعينه ،ويبتسم ببشاشة ، على حين ينفتح غطاء دولابها الذى يتأرجح رقاصها من ورائه يمينا ويسارا ثم تنطلق منه الساعات وهى مشبكة الأيدى مجلجلة الضحكات ، وتأخذ فى الرقص على نغم حلو ، وحق لتيلتيل أن يدهش) •

هــو : هاته الآنسات الجميلات ، من هنّ ؟

الجنية : لا تخف ، انهن ساعات عمرك ، هُنّ فى غمرة من الحبور اذ ملكن الحرية والانكشاف للأعين مدى برهة ولو وجيزة •

هـو : ولماذا تتلألأ الجدران ؟ أهى من السكر أم من الأحجار الكريمة ؟

الجنية : كل الأحجار سواء ، كل الأحجار كريمة ، ولكن الناس لا ترى الا قلة منها .

(واذ يدور هذا الحوار بينهما تتوالى لمسات السحر حتى تبلغ كمال غايتها ، وتبرز سرائر الأرغفة على شكل أقزام فى سراويل بلون قشرة الخبز الجاف ، سكارى من الدهشة ، تتناثر فوقهم الدقيق ، ويخرجون فى صندوق الخبز فيدورون حول المنضدة فى خطى مرحة عابثة فتعترضهم سريرة « النار » التى قفزت من المدفأة وهى فى سروال أصفر وقرمزى وتتلوى من الضحك وهى تطارد سرائر الأرغفة) .

هـو : وهؤلاء الأقزام الأمساخ ، من هم ؟

الجنية : ليس أمرهم بالجلل ، انهم سرائر الأرغفة ينتفعون بسفور عالم الحقيقة ليخرجوا من سجنهم فى الصندوق الضيّق .

هـو : وهذا العفريت الأحمر كريه الرائحة ؟

الجنية : اسكت ، لا ترفع صوتك ، انها النار ، وهى شرسة الخُلق .

(لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات السحر ، فاذا بالكلب والهرة وهما نائمان

مكوران الى جانب الصوان يطلقان معا فجأة صرخة عالية ثم ينشق تحتهما غطاء سرداب ويبلعهما فيختفيان ويبرز بدلهما قزمان أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من فصيلة « البولدوج » وقناع الآخر على هيئة وجه هرة ، فاذا بالقزم الذى يلبس قناع البولدوج (وسنكتفى فيما يلى بكلمة « الكلب » لتسميته) • يرتمى على تيلتيل يعانقه ويرشقة بقبلات هوج، ويغرقه حتى يشل حركته بتمسحات زائطة متأججة ، على حين أن الفتاة القزم الملثمة بقناع الهرة (وسنكتفى فيما يلى بكلمة « الهرة » لتسميتها) تشرع تتمشط وتلعق يديها وتسوى شاربها من قبل أن تقترب من ميتيل) •

الكلب : (وهو ينبح ويقفز وينفلت عياره فيخبط كل شيء فى طريقه بتهور لا يطاق) مولاى الصغير أهلا، أهلا بمولاى الصغير ، وأخيرا ، أخيرا ، استطعت أن أتكلم ، ان لدىّ أشياء كثيرة أود أن أقولها لك فلم يُسعفنى ويفصح عنى نباح ولا هزّ ذيل، وكنت لا تفهم عنّى ، أما الآن ، أما الآن فمرحبا بمولاى ، انى أحبك ، أحبّك ، أتريد أن أريك بعض ألعابى المدهشة ؟ أن أقف وقفة المستجدى ؟ أن أسير على يدىّ وحدهما ؟ أن أرقص على قدمىّ وحدهما ؟

هو : (للجنية) من هذا السيّد الذى له وجه كلب ؟

الجنية : ألا تدرك ؟ انهـا سريرة كلبك « تيـلو » وقـد استنقذتها أنت من الأسـر .

الهرة : (تمد الى ميتيل يدا موقرة متهيبة) تحية يا ستى، ما أجملك هذا الصباح .

هـى : تحية سيدتى (الى الجنية) من تكون ؟

الجنية : من السهل أن ترى بنفسك أنهـا سريرة هرتك « تيليت » التى تمد اليك يدها فامنحيها قبلة منك .

الكلب : (وهو يزحزح الهرة) وأنا أيضا أريد أن أقبل مولاى الصغير ، وأقبل ستى الصغيرة ، انى أريد تقبيل الجميع هنا ، ما أسعدنى ! سيطيب لنا لهـو كثير . سأبدأ بأن أخيف تيليت ، هاو ، هاو ، هاو (ينبحهـا) .

الهرة : (للكلب) سيدى ، انى لا أعرفك .

الجنية : (وهى تزجر الكلب بعصاها السحرية) أما أنت فالزم الهدوء والا رددناك الى عالم الصمت الى يوم القيامة .

(وفى عين الوقت تكون لمسات السحر ماضية فى عملها ، تنطلق فى ركن الحجرة عجلة « المغزل » وتدور بسرعـة هوجاء ، وتنسج أشعة من ضياء ذات بهاء ، يبـدأ

الصنبور فى ركن آخر يصفر بصوت عاله وتنبعث منه نافورة مضيئة تملأ الحوض بجداثل من اللؤلؤ والياقوت ، تنفلت منها سريرة المـاء على هيئة فتاة شابة تتساقط منها القطرات ، شعرها مشعث ونشيجها مرتفع وتبدأ من فورها عراكها مع سريرة النار) .

تيلتيل : ومن تكون هذه السيدة المبلّلة ؟

الجنية : لا تخف ، انها سريرة المـاء قد انفلتت من الصنبور

(ينقلب ابريق اللبن ويقع من على المنضدة ويتحطم على الأرض وينبعث من اللبن المراق شخص أبيض خجول كأنه يتهيب كل شيء حوله) .

هـو : ومن تكون هذه السيدة الخائفة التى طلعت لنا بقميص النوم ؟

الجنية : انه اللبن وقد كسر اناءه .

« نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ فى النمو ويزداد حجمه ويمزق ورق غلافه وينبعث منه شخص يصطنع الرقة وهو بادى النفـاق ، يرتدى معطفا ملونا على التوالى بالأبيض والأزرق ويتقدم الى ميتيل وعلى شفتيه إبتسامة تزعم التقى والورع) » .

ميتيل : (فى قلق) ماذا يريد ؟

الجنية : انه سريرة السكّر .

هـي : (وقد اطمأنت) هل عنده حلوى « نبوت الخفير »،

الجنية : ليس في جيوبه شيء سواها ، وكل أصبع في يده « نبوت خفير » .

(يسقط المصباح من على المنضدة وما يكاد يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئة فتاة عذراء وضاءة فائقة الجمال ، تجللها غلالات شفافة براقة وتجمد في مكانها كأنها في وجد) .

هـو : انها الملكة !

هـي : انها العذراء البتول .

الجنية : كلا يا أولادي ، انها بسمة النور .

(واذ يحدث هذا نرى الطواجن النحاسية على الرف وهي تدور على محاورها كلعبة النحلة ، وينفتح باب الصوان على مصراعيه بدوي ، ويلفظ سيلا رائعا من أقمشة بعضها في لون أشعة القمر وبعضها في لون أشعة الشمس يختلط بها سيل لا يقل روعة من الخرق والمزق يهبط على السلم من المخزن ، ثم يقرع الباب الأيمن فجأة بدقات ثلاث عنيفة نوعا ما) .

هـو : (في خوف) انه بابا ، قد سمعنا .

الجنية : أدر الماسة من الشمال الى اليمين (تيلتيل يدير الماسة بعنف) لا تعفرتها هكذا ، يا الهي !! لقد

تأخرنا فضاعت الفرصة من أيدينا ، أنت أدرتها بعجلة شديدة ، لن يبقى لمن حولنا وقت للعودة الى أماكنهم المألوفة ، وسنلقى متاعب كثيرة •

(ترتد الجنية الى امرأة عجوز ، تطفىء جدران الكوخ ضياءها ، وتؤوب الساعات الى مثواها ، وتكف عجلة المغزل عن الدوران ، الخ الخ • ويعم المكان هرج ومرج ، وربكة ، تجوب النار أرجاء الحجرة في حركة هوجاء لتبحث عن المدفأة ، واذ تفعل ذلك ترى رغيفا يعجز عن الاندساس في صندوق الخبز فينفجر بكاؤه وتدوى صرخات فزعه) •

الجنية : ماذا حدث ؟

الرغيف : لم يبق لى مكان فى الصندوق •

الجنية : (تنحنى فوق الصندوق) بل فيه مكان ، فيه مكان لك ، (تدفع الأرغفة التى سبقت فاحتلت مكانها القديم فى الصندوق) هيّا ، هيّا ، اسرعوا ، انتظموا ، أفسحوا بينكم مكانا •

(يدق الباب من جديد) •

الرغيف : (وهو مرتعب مُضيّع يجاهد عبثا للدخول الى الصندوق) لا وسيلة للدخول ، سأكون أول ما يأكله •

الكلب : (وهو يتواثب حول تيلتيل) مولاى الصغير ! انني لا أزال هنا ، لا أزال أستطيع الـكلام ، لا أزال أستطيع تقبيلك مرة ، وثانية ، وثالثة •

الجنية : ماذا ؟ أنت أيضا لم تنصرف بعد ؟

الكلب : انني محظوظ اذ لم الحق العودة الى عالم الصمت فان غطاء السرداب كان أسرع منى فانقفل وبقيت •

الهرة : كذلك كان شأنى ، ماذا سيحدث ؟ هل ستواجهنا أخطار ؟

الجنية : يا الهى ! ينبغى أن أصارحكم بالحقيقـة ، كل من سيصحب الصبيين فى رحلتهما سيموت عند نهايتها •

الهرة : ومن لا يصحبهما ، ما مصيره ؟

الجنية : يمتد أجله قليلا •

الهرة : (للكلب) تعال نأوى الى السرداب •

الكلب : كلا ، كلا ، لا أطاوعك فانى أحبّ أن أصـحبه مولاى الصغير وألا أكفّ عن مناجاته •

الهرة : يا لك من غرّ أبله !

(الباب يدق مرة اخرى) •

الرغيف : (وهو يذرف دموعا ساخنـة) لا أريد أن أموت

عند نهاية الرحلة ، أريد أن أدخل فورا الى الصندوق .

النار : (وهى لا تنفك تدور فى الحجرة بحركة هوجاء وترسل أزيزا ينم عن كربها) لم أعد أجد المدفأة .

الماء : (وهى تحاول عبثا الرجوع الى الصنبور) لم أعد أملك العودة الى الصنبور .

قمع السكر : (وهو يطوف باضطراب حول مزق غلافه) قد مزقت غلافى .

اللبن : (فى سكينة وخجل) قد كسرت ابريقى الصغير .

الجنية : يا لهم من أغبياء ، أغبياء جبناء ، ان بقاءكم فى صندوقكم الكريه وفى سراديبكم وصنبوركم أفضل عندكم من مصاحبة الصبيين للبحث عن الطائر الأزرق .

الجميع : (فيما عدا الكلب وبسمة النور) نعم ، نفضل العودة فورا ، الى صنبورى ، الى صندوقى ، الى مدفأتى ، الى سردابى .

الجنية : (الى بسمة النور وهى تصوب نظرة حالمة الى حطام مصباحها) وأنت يا بسمة النور ما قولك ؟

بسمة النور : سأصحب الصبيين .

الكلب : (وهو يهتف بفرح) وأنا أيضا ، أنا أيضا .

الجنية : هذه شيمة أفضـل ، على كل حال قـد فات أوان النكوص ، لم يبق لكم خيار ، ستخرجون كلكم معنا . ولـكن أنت يا نار ، لا تقتربى من أحـد ، وأنت يا كلب ، لا تشاكس الهرّة ، وأنت يا ماء اصلبى عودك وحذار أنّ تندلقى أينما حللت .

(لا يزال الباب الأيمن يدق بعنف) .

تيلتيل : (وهو يتسمّع) هذا الدق مذ بدأ : هو دقّ بابا ، انه نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه .

الجنية : لنخرج من النـافذة . سـتأتون جميعـا الى بيتى لا تخير لكل حيوان ولـكل شيء ما يليق به من الثياب ، وأنت يا رغيف ، خذ معك القفص لنضع فيه الطائر الأزرق ، ستكون حارسه المسئول عنه ، هيا هيا ، لا نُضع الوقت .

(تتسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب فيخرجون منها جميعا ثم تعود الى وضـعها الأول وتقفل مصراعيها وهى تزعم البراءة ، تعود الحجرة للظلام ويختفى المهـدان فى العتمة ، ينفتح الباب الأيمن الى آخره ويظهر فى اطاره بابا وماما تيل) .

بابا تيل : لا شيء مريب ، لم يكن الا صرير الجنادب .

ماما تيل : وهل نملك تبيّن أولادنا ؟

بابا تيل : نعم ولا ريب ، انهما نائمان فى هدوء .

ماما تيل : انى أسمع أنفاسهما .

(ينقفل الباب) .

« ســـتار »

الفصل الثانى

المنظر الثاني : بيت الجنيـة

(بهو فخم فى قصر الجنيـــة غرباوية ، أعمـــدة من المرمر لهـــا تيجان من الذهب والفضة ، سلالم ومقاصير وشرفات الخ الخ يدخل الى غيابة المسرح من اليمين كل من الهرة وقمع السكر والنار وهم فى ثيـــاب بديعة ، انهم خرجوا من حجرة ترسل فيضا من الأضواء ، هى خزانة ثياب الجنيـــة ، تلفعت الهرة بغلالة بيضاء شـفافة فـــوق قميص لها من حرير أسود ، وارتدى قمع السكر ثوبا من الحرير مزدوج اللون : أبيض وأزرق حائل ، ولبست النار معطفا طويـــلا قرمزى اللون ، مبطنا بالذهب ، ووضـعت فوق رأسها ريشة متعددة الألوان ، يخترقون البهو كله طولا حتى يبلغوا مقدمة المسرح فتجمعهم الهرة فى مقصورة) .

الهرة : من هنا ، انني خبيرة بكل مسالك هذا القصر الذى ورثته الجنيّة غرباوية عن صاحب اللحية الزرقاء ، لقد ذهبت هى والصبيّان لزيارة ابنتها ، فلنغتنم فى غيبتهم آخر دقيقة ننعم فيها بحريتنا ، جمعتكم هنا من أجل أن نبحث معا هذا الموقف الذى وجدنا أنفسنا فيه ، فهل ينقصنا أحد ؟

قمع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس .

النار : عجبي ! أيّ ثوب هذا الذي يرتديه !

الهرة : انه اصطفى لنفسه رداء الخادم الذي يحرس عربة ساندريللا ، لعمرى لقد اختار ما يليق به ، لأن له طبع الخدم ، فلنختبيء في هذه الشرفة فاني لتأخذني من الكلب ريبة أعجب لها . والأفضل أن لا يسمع ما سأقوله لكم .

قمع السكر : جهد ضائع فقد دلته حاسة الشمّ علينا ، انظروا ها هي ذي سريرة الماء تخرج أيضا من خزانة الملابس ، ما أبهى جمالها .

(يلتحق بهم الكلب والماء) .

الكلب : (وهو يتواثب) انظروا ، انظروا الى جمالنا وبهائنا ، الى هذه الدنتلا وهذه الزركشة ، ان خيوطها من ذهب خالص ، لا ريب فيه .

الهرة : (الى الماء) يخيل الى أن ثوبك ليس بغريب عليّ ، لقد سمعت وصفه في أحدوثة للأطفال .

الماء : نعم نعم ، اني وجدته فوق ذلك أليق الأثواب لي . وجهلت أن لابسة هذا الثوب ينبغي أن تحمل مظلة لا تفارقها .

الماء : لا أفهم ، ماذا تعنين ؟

النار : لا شيء ، لا شيء .

الماء : (تهزأ بالنار وتعرّض بأنفها) ظننتك تتحدثين عن أنف حمراء متورّمة رأيتها أخيرا ..

الهرة : هيا هيّا ، كفوا عن النقار والشجار ، فأمامنا شيء أفضل نفعله ، أصبح لا ينقصنا الا الرغيف . أين هو ؟

الكلب : هو يقيم الدنيا ويقعدها من أجل أن يختار ثوبه .

الهرة : حقّ لمن بدت بلاهته ، وبرز كرشه أن ينقب ويتخيّر ..

الكلب : وأخيرا اصطفى له طيلسانا من لباس الأتراك محلّى بالفصوص وله خنجر وعمامة .

الهرة : ها هو ذا قادم الينا ، انه اختار أجمل رداء لصاحب اللحية الزرقاء .

(يدخل الرغيف مرتديا الثوب الذى وصفناه ، هو طيلسان من الحرير قد ضاق بكرشه البارز فلم تنعقد أزراره فوق بطنه الا بمشبقة ، للرغيف يد على مقبض الخنجر المثبت على حزامه ، واليد الأخرى ممسكة بالقفص المعد للطائر الأزرق) .

الرغيف : (وهو يرقص أمامهم فى خيلاء وغرور) والآن، كيف ترونني فى هذا الطيلسان ؟

الكلب : (وهو يتواثب حوله) ما أجمله ! ما أسخفه ما أجمله .. ما أسخفه .

الهرة : (للرغيف) وهل ظفر الصبيان بثوبين لهما ؟

الرغيف : كان من نصيب السيد تيلتيل ثوب «عقلة الأصبع» سترة زرقاء وسروال أحمر ، ومن نصيب الآنسة ميتيل ثوب ست الحسن والجمال وحذاء ساندريلا . ولكن المشكلة كانت فى اختيار ثوب يليق ببسمة النور .

الهرة : ولماذا ؟

الرغيف : لأن الجنية أبت من فرط جمال بسمة النور أن تسترها بغطاء ، فاحتججت أنا باسم كرامتنا نحن سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا الرفيع وأعلنت فى النهاية انني أرفض فى هذه الأحوال أن أخرج فى صحبة بسمة النور وهى عارية .

النار : كان ينبغى أن نشترى لبسمة النور ظليلة (أباجور)

الهرة : وبماذا أجابت الجنية ؟

الرغيف : كانت اجابتها ضربات من عصاها على رأسى وبطنى .

الهرة : ثم ماذا حدث ؟

الرغيف : آمنت بحكمها صاغرا على الفور ولكن بسمة النور قررت في آخر لحظة أن تختار ثوبا لونه من ضياء القمر .

الهرة : كفى ثرثرة ، الوقت يتعجلنا ، ان المسألة تتعلق بمستقبلنا . قد سمعتم ما قالته الجنية من أن نهاية الرحلة هى فى الوقت ذاته نهاية عمرنا ، فينبغى اذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة ، بكل حيلة نملكها ، ثم هناك مسألة أخرى ، ينبغى أن نعنى بمصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا .

الرغيف : كلام جميل ، الهرة على حق .

الهرة : انصتوا لى : نحن جميع الحاضرين هنا من حيوان وجماد وعنصر لنا سريرة لم يتبينها الانسان بعد ، ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستقلال ولكن لو عثر الانسان على الطائر الأزرق فانه سيعرف كل شىء ويرى كل شىء ، ونصبح جميعا فى قبضته ، أسرى رحمته هذا ما قالته لى صديقة قديمة هى فحمة الليل ، انها أيضا حارسة أسرار الحياة ، فمن مصلحتنا جميعا أن نمنع ــ مهما كان الثمن ــ عثور

الانسان على الطائر الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر أن نعرّض حياة الصبيين للأخطار .

الكلب : (فى حنق) ماذا تقول هذه البنت ؟ أعيدى قولك لو تكرمتِ لأتبين جليته .

الرغيف : الاجتماع .

سكوت ! لم أعطك حق الكلام ، وأنا رئيس هذا

النـار : ومَنْ الذى أسند اليك الرياسة ؟

المـاء : « للنار » سكوت . ما دخلِك فى هذا ؟

النـار : أنا أتدخّل حين أشاء ، وليس لمثلى أن يعترض عليه مثلك .

قمع السكر : (محاولا المصالحة) من فضلكم ، من فضلكم ، ينبغى أن نكفّ عن العراك ، فالساعة عصيبة ، أمامنا قبل كل شىء أن نتفق على خطة نتبعها .

الرغيف : ان رأيى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر .

الكلب : هذا سخف ، لا تنسوا وجود الانسان ، هذه هى المسألة كلها ، لا مفر لنا من طاعته والانصياع لرغباته ، هذه هى الحقيقة التى ليس غيرها حقيقة أخرى ، اننى لا أعترف الا بالانسان ، فليحى الانسان ! حياتنا ومماتنا ملك يديه ، وفى خدمته، فالانسان هو مولانا جميعا .

الرغيف : ان رأيي مطابق كل المطابقة لرأي الكلب .

الهرة : ولكن جُدْ علينا بذكر مبرّرات قولك هذا .

الكلب : ليس هناك مبرّرات ، اني أحب الانسان ، وفي حبّي كفاية ، فاذا تآمرتم عليه فاني سأخنقكم أولا ثم اذهب اليه وأفضحكم عنده .

قمع السكر : (يتدخل بلهجة حلوة) من فضلكم ، لا داعي لهذا النقاش المرّ ، هناك وجهة نظر تسوّغ القول بأن كلا منكما على حق ، ولكل رأيٍ ما له وما عليه .

الرغيف : ان رأيي مطابق كل المطابقة لرأي قمع السكر .

الهرة : ألسنا نحن الموجودين هنا جميعا ، الماء والنار ، حتى أنت أيها الرغيف وأنت أيها الكلب ، ألسنا ضحايا استبداد غاشم ؟ اذكروا العهد الذي كنا قبل مجيء الطغاة ننعم فيه بالحرية ونروح ونغدو كما يحلو لنا على سطح الأرض ؟ لم يكن للدنيا من سيّدٍ الا النار والماء ، فانظروا كيف كان مصيرهما . أما نحن فلم نصبح على يد الانسان الا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام : وحوش الغابات . اسكتوا . انتبهوا . تصنّعوا البراءة كأننا لم نجتمع لأمر ، فاني أرى الجنية

وبسمة النور قادمين نحونا ، لقد انحازت بسمة النور الى صفّ الانسان ، ان بسمة النور ألدّ أعدائنا ، ها هما قد أقبلا •

(تدخل الجنية من اليمين ومعها بسمة النور وفى أثرهما تيلتيل وميتيل) •

الجنية : وَىْ وَىْ ، ماذا أرى ؟ فيم اجتماعكم فى هذا الركن المنعزل • حالكم ينبىء بأنكم تتآمرون ، قد آن أوان البدء فى الرحلة ، وقد قررت أن تكون بسمة النور قائدكم تطيعونها جميعا طاعتكم لى وسأستودعها عصاى السحرية ، وسيزور الصبيان هذا المساء أجدادهما الموتى ولا داعى لمرافقتكم لهما ، حياءً من الفضول •• سيقضيان هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما فاغتنموا وقت غيابهما وأعدّوا العدة لرحلة الغد انها ستكون مرحلة طويلة ، هيّا ، انهضوا ، وابدأوا العمل ، كل واحد منكم فى وظيفته •

الهرة : (ينفاق) هذا هو عين ما كنت أقوله لهم يا سيّدتى، كنت أحثهم على أداء واجبهم بحرص وحماس ولكن الكلب كان مع الأسف لا ينفك يقاطعنى •

الكلب : ماذا تقول ؟ مهلا ، مهلا ، (ويوشك أن يهجم على

الهرّة ولكن تيلتيل يحدس نيّتـه فيصده باشارة مهدّدة .

تيلتيل : ارقد يا تيلو ، اذا عدت لهذه الفعلة مرة أخرى فانى ..

الكلب : يا مولاى الصغير ، انت لا تدرى ، انها هى التى..

هــو : (وهو يزجره) اسكت .

الجنية : كفى كفى ، هيّا نفرغ من ترتيباتنا ، على الرغيف أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتيل فمن الجائز أن يكون الطائر الأزرق مختبئا فى طيّات المـاضى عند الراحلين من أسرته ، انها فرصة على كل حال لا يحسن اغفالها ، وانت يا رغيف ، هات القفص .

الرغيف : (بلهجة مراسـيمية) دقيقة واحــدة من فضلك ، يا سيّدتى ، (يتحوّل الى لهجـة خطابية) اننى أتخذ منكم جميعا شهداء على أن القفص الفضىّ الذى كان فى عهدتى .

الجنية : (مقاطعــة) كفى ، كفى شقشقــة ، سنخرج من هناك ، أما الصبيان فسيخرجان من هنا .

هــو : (وهو شديد التوجس) سنخرج وحدنا ؟

هــى : انى جائعة .

هــو : وأنا أيضا .

الجنية : (للرغيف) افتح طيلسانك التركيّ واقتطع لهما شريحة من أطيب لحم في بطنك .

(يفتح الرغيف طيلسانه ويستل خنجره ويقطع به من بطنه شريحتين كبيرتين يمنحهما للصبيين) .

قمع السكر : (يقترب من الصبيين) اسمحا لى أن أقدم لكما أيضا شيئا من حلوى نبوت الخفير (يكسر من يده اليسرى أصابعها الخمس واحدا بعد آخر ويمنحها للصبيين) .

هــو : ماذا يفعل ؟ انه يكسّر أصابعه كلها .

قمع السكر : (وهو يحثهما بكرم) هيّا ، ذوقاها ، انها حلوى بديعة ، نبوت خفير بحق وحقيق ...

الجنية : حذار يا ولديّ من الافراط في أكل السكر ثم لا تنسيا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند أجدادكما .

هــو : أهم هنا ؟

الجنية : ستريانهما وشيكا .

هــو : وكيف نراهم وهم موتى ؟

الجنية : كيف تقول عنهم موتى وهم يعيشون فى ذاكرتكما، ان الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم لم يبلغوا

من العلم الا قليلا ، أما أنت فسترى بفضل الماسة ان الموتى الباقين فى الذاكرة يعيشون فى هناء كما لو كانوا غير موتى .

هـو : وهل ستأتى بسمة النور معنا ؟

بسمة النور : من الأليق أن لا نفسد على الأسرة خلوتها اذا اجتمعت ، وسأبقى قريبا فلا أظهر لهم حتى لا أتهم بالفضول وقلة الحياء ، ثم لا تنس أننى لم أتلق منهم دعوة .

هـو : من أى طريق ينبغى أن نذهب ؟

الجنية : من هناك ، أنتما الآن على عتبة أرض الذكريات ، وحالما تدير الماسة سترى شجرة سامقة عليها لافتة فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن اياكما أن تنسيا العودة فى الساعة التاسعة الا ربعا ، هذا شىء فى غاية الأهمية ، فاحرصا قبل كل شىء على العودة فى الموعد المحدّد وسيضيع كل شىء هباءً اذا تأخرتما ، فالى اللقاء اذن ، (تنادى الهرة والكلب وبسمة النور الخ الخ) انتم من هنا ، والصبيان من هناك .

(تخرج من اليمين مع بسمة النور وزمرة الحيوان الخ الخ . ويخرج الصبيان من اليسار) .

« ستار »

المنظر الثالث

أرض الذكريات

(ضباب كثيف ، على اليمين فى مقدمة المسرح جذع شجرة بلوط ضخمة ، معلق عليها لافتة ، الضوء كاللبن المسكوب، غامض غير شفاف • تيلتيل وميتيل عند جذع الشجرة) •

هو : هذه هى الشجرة •

هى : وعليها اللافتة •

هو : عينى لا تستطيع قراءتها ، انتظرى ، سأصعد فوق هذه الجذور ، نعم ، هى المقصودة حقا ، فمكتوب عليها « أرض الذكريات » •

هى : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا •

هو : نعم ، هناك رسم سهم يشير اليها •

هى : ولكن أين جدى وجدتى ؟

هو : من خلف الضباب ، فلنصبر حتى نرى •

هى : انى لا أرى شيئا ، بل لم أعد أرى يدى وقدمى (بلهجة متباكية شاكية) أحس بالبرد يقرصنى ،

ولا أريد متابعة الرحلة ، أريد أن أعود للبيت .

هـو : شدّى حيلك ، أهكذا دأبك ، البكاء ، كما تفعل صاحبتنا المـاء ، ألا تخجلين ؟ فتاة شابة مثلك ؟ انظرى ، ها هو ذا الضباب ينقشع ، وسنرى ماذا كان يخفيه عنّا .

(يبدأ الضباب فعلا فى التموج ، فيرق ويشف ، ويتبدد ويتبخر ، ويحـــل محله ضوء يزداد سطوعه شيئا فشيئا ، يتكشف تحت سقيفة من الأغصان بيت ريفى صغير ينطق بالبشر ، تغطيه نبـــاتات متسلقة ، النوافذ مفتوحة ، وكذلك البـــاب ، ونرى تحت عريشة خلايا نحل ، واصص زهر على حافة النوافذ ، وقفصا به شحرور أسود قد أغفى ، وبجانب الباب دكة يجلس عليها شيخ وزوجه العجوز ، كلاهما مستغرق فى نوم عميق هما الجد والجدة) .

تيلتيل : (يعرفهما فجأة) هذا جدّى ، وهذه جدتى .

ميتيـل : (تصفق طربا) نعم ، هو جدّى ، وهى جدّتى .

هـو : (وبعض الشـكّ لا يزال يسـاوره) احذرى ، فلسـنا ندرى هـل هما قادران على الحـــركة ، فلنختبىء وراء الشجرة .

(تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها وتتمطى وتتنهد ، وترمق الجد تيل وهـــو يتفلت من قبضة النوم قليلا قليلا) ..

الجـدة : قلبي يحدثني أن حفيدينا سيزوراننا اليوم من عالم الأحياء ، لا شـك .

الجـد : لا شك أننا خطرنا على بالهما بدليل خفقان قلبي وخدر ساقيّ .

الجـدة : أظن أن وصولهما قد اقترب لأن دمـوع الفرح تتراقص أمام عيني .

الجـد : كلا كلا ، هما لا يزالان على بُعـد والا لدبّت الهمة في بدني .

الجـدة : أؤكد لك أنهما أصبحا بالقرب منا ، فها هي قواي تعود الىّ كلها .

تيلتيل
ميتيـل : (وهمـا يندفعـان نحـوهما من وراء الشجـرة) ها نحن قد جئنا ، ها نحن قد جئنا ، يا جدّي ، يا جدتي . نحن حفيداكما ، نحن حفيداكما .

الجـد : ها هما قد وصلا . ألم أقل لك ؟ كنت واثقا أنهما سيحضران اليوم .

الجـدة : تيلتيل ، ميتيـل ، حفيداى (تحـاول النهـوض لتسبقهم فى اللقاء) لا أستطيع الجرى فلم يفارقنى الروماتزم .

الجـد : (يحاول الجرى وهو يعرج) وأنا أيضـا عاجز

عن الجرى على ساقى الخشبية ، أين هى من ساقى التى انكسرت يوم سقطت من على شجرة البلوط .

(يشترك الحفيدان والجدان فى عناق حار) .

الجـدة : شدّ ما قوى عودك ونما يا تيلتيل .

الجـد : (وهو يربّت على شعر ميتيل) وميتيل ، انظرى اليها ! بربك ما أجمل شعرها ، ما أجمل عيناها ، ثم شذى عرفها ، ما أطيبه !

الجـدة : هيا نتعانق مرة أخرى ، تعالا اجلسا فى حجرى . وأنا ؟ ألم يبق لى نصيب ؟

الجـد : كلاّ كلا ، أنا أولاً ، كيف حال بابا وماما .

هـو : على أحسن حال يا جدتى ، كانا نائمين حين خرجنا .

الجـدة : (وهى ترمقهما ولا تكفّ تربّت عليهما) تالله ماأبهى جمالكما ، وظرفكما ونظافتكما ، جواربكما غير ممزقة ، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها ، لماذا لاتواليان زيارتنا ؟ فان هذا يسّرنا كثيرا امتد نسيانكما لنا شهورا طويلة ، ولم نعد نرى أحدا منكما .

هـو : لم نكن نقدر يا جدّتى ، واذا كنا قد جئنا اليوم فذلك بفضل الجنية .

الجـدة : نحن هنا دائما نترقب من الأحيـــــاء زيارة ولو قصيرة ، انهم لا يحضرون الا نادرا ، فآخر مرة جئتما فيها .. دعونى أتذكر ، متى كانت ؟ نعـم كانت فى عيد جميع القديسين حين كانت أجراس الكنائس تدق أنغامها .

هـو : عيد جميع القديسين ؟ اننا لم نخرج ذلك اليـوم بسبب الزكام .

الجـدة : نعم ولكن زارنا فكركما .

هـو : نعم ، كنا نفكر فيكما .

الجـدة : فى كل مرة تفكر ان فينا نستيقظ ونراكمـا من جديد .

هـو : كيف ؟ أيكفى أن ..

الجـدة : بلا ريب ، أنت تعلم هذا ..

هـو : كلا ، لا أعلم .

الجـدة : (للجد) ما أعجب حال أهل الدنيا ! انهم لايعرفون هذا ! هل عجزوا عن الادراك ..

الجـد : كنا مثلهم فى عهدنا ، ما أغبى حديث الأحيــاء عن الراحلين .

هـو : أكنتما نائمين طول الوقت ؟

الجـد : نعم ، نحن نبقى نائمين ننتظر أن يمر ذكرنا ببال أحد الأحياء فنستيقظ ، ما أحلى النوم حين تولى الحياة ولكن ما أحلى اليقظة أيضا بين الحين والحين .

هـو : فأنت لست بميت حقا ، وكذلك جدتي .

الجـد : (وهو يفز) ماذا تقول ؟ ماذا يقول ؟ ها هو ذا ينطق بكلمات لم نعد نفهمها ، أهي كلمة مستحدثة أم اختراع جديد .

هـو : تعنى كلمة « ميّت ؟ »

الجـد : نعم ، هذه الكلمة . ما معناها ؟

هـو : معناها ينطبق على كل من انتهت حياته .

الجـد : ما أغباهم أهل الأرض .

هـو : أأنتم فى راحة هنا ؟

الجـد : لا بأس ، لا بأس ، وحبذا أيضا لو أتيح لنا التدخين .

هـو : أغير مسموح لك به ؟

الجـد : نعم ، التدخين مباح ولكنى كسرت غليونى (١) .

---

(١) نقلت هذه الفقرة من الترجمة الانجليزية لأنها فى الأصل الفرنسى واردة على صورة لا تتسق مع بقية الحوار .

الجدة : سنكون بخير اذا أكثرتما من زيارتنا ، أتذكر يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيرة تفاح جميلة وكيف أفرطت فى الأكل منها حتى مرضت •

هو : لم آكل فطيرة تفاح منذ العام الماضى وليس لدينا تفاح هذا العام •

الجد : كفى هراء ، التفاح موفور هنا •

هو : الأمر يختلف •

الجد : كيف يختلف ؟ لا يختلف ما دمنا نتعانق •

هو : (وهو ينقل نظره بين الجد والجدة) شكلك يا جدى لم يتغير ، وكذلك جدتى ، بل قد زدتما وسامة وجمالا •

الجد : لا بأس بحالنا ، لم نعد نتقدم فى العمر فنكبر ، أما أنتما فما كان أسرع نموكما ، انه نمو مليح • التفت الى الباب ، عليه علامة قياس طولك آخر مرة ، يوم عيد جميع القديسين ، فلننظر الفرق ، شد قامتك (تيلتيل يستند الى الباب ويشد قامته) الفرق أربعة أصابع ، يالها من طفرة هائلة ، (ميتيل تشد قامتها هى الأخرى) وميتيل ؟ أربعة أصابع ونصف أصبع ، ما أسرع نمو

النباتات الشيطانية ، عجبى لطولكمـــــا ، عجبى
لطولكما •

هــو : (يتأمل فيما حوله بمتعة وانبهار) كل شيء هنـا باق كما كان ، كل شيء في موضعه ، وان ازداد جمالا ، هذه هي الساعة وعقربها الكبير الذى كنت كسرت رأسه •

الجــد : وهذا هو قدر الحساء الذى كنت كسرت طرفه •

هــو : وهذا هو الخرم الذى أحدثته بالبـــاب يوم وقع المثقاب في يدى •

الجــد : نعم ، ما كان أكثر اتلافك ، وهذه هي شـــــجرة البرقوق التى كنت تحب تسلقها حين أغيب •• انها لا تزال تجود بثمر أحمر شهى •

هــو : ولكنه ازداد جمالا •

هــى : وهذا هو الشحرور الهرم •• ألا يزال يـُغنى••

(يستيقظ الشحرور وينطلق في الغناء)

الجــدة : أرأيت ؟ انه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال.

هــو : (يلحظ بدهشة أن الشحرور لونه أزرق) ان لونه أزرق ، اذن هو الطـــائر الأزرق الذى ينبغى أن آتى الجنية به ، كيف سكتما عن اخبارى.

انه عنـــدكما • نعم • نعم • انه أزرق اللون ، يشبه الزرقاء من الحبّات الزجاجيـة التى تلعب بها ، (يستعطف الجدّ والجـــدّة) يا جدّى ، يا جدتى ، هل لكما أن تسمحا باعطائه لى •

الجـد : نعم ، ربما ، ربما ، ما رأيك يا ستّى ؟

الجـدة : نعطيه ولا ريب ، فما نفعه هنـــا • لا صنعة له الا النوم ، فلا نسمع له شدوا •

هـو : سأضعه فى قفصى ، وَىْ ، أين هو قفصى ؟ نعم ، لقد نسيته خلف الشجرة • (يجرى اليها ويعود بالقفص ويحبس فيه الشحرور) أحقا سمحتمـا به هديةً لا تسترد ؟ ستسر به الجنية • أما عن بسمة النور فلا تسألانى عن فرحتها حين تراه •

الجـد : ليكن فى علمك أننى لا أضمنـــه ، وأخشى أن لا يألف من أهل الأرض اضطراب حيـاتهم فيركب أول ريح يهب الينا ويعود ، على كل حال سنرى ماذا يكون من أمره ، أما الآن فدعه الى حين ، وتعال نلقى نظرة على خلايا النحل (١)

---

(١) تلقى نظرة على البقرة ، هكذا فى الأصـل والترجمـة الانجليزية ، وأظنها غلطة مطبعية للتشـابه فى الفرنسـية بين كلمة « بقرة ، وكلمة خلايا » اذ لم يرد للبقرة ذكر فيمـا بعـد .

هـو : (وهو يلحظ خلايا النحل) وكيف حال النحل .

الجـد : لا بأس بحالها ، لعلّ أهل الأرض يقولون عنها ماتت أيضا ، ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط .

هـو : (يقترب من الخلايا) نعم ، انى أشمّ رائحة العسل ، لاريب أن الخلايا عامرة ، فكل الأزهار هنا جميلة ، وشقيقاتي اللاتي متن ، أهن هنا أيضا .

هـي : وأشقائي الثلاثة الذين واريناهم التراب . أين هم ؟

(ما تكاد تنطق بهذه العبارة حتى ينفلت من باب الكوخ واحداً اثر آخر سبعة من الأولاد يختلفون طولا ، يحمل كل منهم مزمار (بان) رمز الطبيعة بين أرباب الأغريق وهو لا يرسم الا بمزماره) .

الجـدة : ها هم أمامكما ، حالما يمرّ ذكرهم ببالكما أو ينطق باسمهم لسانكما فانهم يظهرون ، ما أعزّ أولادي جميعا .

(تيلتيل وميتيل يجريان للقاء أخوتهم ويشيع التزاحم والتعانق والرقص والدوران وهتافات الفرح) .

هـو : تعال يا بيرو ، (يشدّ كل منهما شعر أخيه) ستتعارك كما كنا نفعل في الأيّام الخوالي ، وأنت

يا روبير ، أنعم صباحا يا جان ، أين نحلتك التى تلعب بهـــــا ؟ مادلين ، بيريت ، بولين ، ها هى ريكيت •

هـى : ريكيت ، ريكيت ، انها لا تزال تحبو على اليدين والقدمين •

الجـدة : نعم ، لم تكبر •

هـو : (يلحظ الكلب الصغير وهو ينبح حولهم) ها هو كيكى ، كنت قطعت ذيله بمقص بولين • انه لم يتغيّر أيضا •

الجـدة : (فى لهجة الحكيم) لاشىء يتغيّر هنا •

هـو : ولا يزال على أنف بولين دمامها •

الجـد : انه ضيف ثقيل ، لا يرحل ولا نستطيع طرده ••

هـو : ما أبدع صحتهم وامتلاء أبدانهم وصفاء بشرتهم وتورّد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعـــــام وفير •

الجـدة : صحتهم تحسنت مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من معاناة الخوف والمرض والقلق •

(تدق الساعة فى الكوخ ثمانى دقات) •

الجـدة : (فى دهشة) ما هذا ؟

الجـد : لَعَمْري لست أدرى ، لابد أنها الساعة •

الجـدة : هذا مستحيل ، انها لم تدق قط من قبل •

الجـد : نحن لم نفكّر فى الساعة ، فهل فكّر فيها أحد منكما •

هـو : نعم ، أنا ، كم الساعة الآن •

الجـد : لست أدرى وربى ، لم نعد نبالى بالوقت ، وقياسه ، لقد دقت ثمانى مرات ، لابد أنها الساعة الثامنة فى حساب أهل الأرض •

هـو : ان بسمة النور تنتظرنى فى الساعة التاسعة الا ربعا ، هذا هو أمر الجنية ، انه موعد هام فلا بُدّ لى من أن أنصرف •

الجـدة : أيرضيك أن تتركنا وقد حان موعد العشاء ، فلنعدّ المائدة فورا أمام الباب ، من حسن الحظ أننى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعا وكذلك فطيرة برقوق •

هـو : ولم لا ما دمتُ قد ظفرتُ بالطائر الأزرق ، ثم ان حساء الكرنب لم أذقه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافر مثلى ، انه طعامٌ لا يقدم فى الفنادق •

الجـدة : ها هو الحساء ، قد تمّ أعداده ، هيا الى المائدة

يا أولادى ، ان كنتم تستعجلون الذهـــاب فلا تضيّعوا الوقت .

(اشعلوا المصباح وقد حل المساء وجلس الأحفاد مع الجدين حول مائدة العشاء وهم يتزاحمون ويلكز بعضهم بعضــا ويتعـــالى ضحكهم وصيحات فرحهم) .

هـو : (يأكل بشراهة) ما الذّه من حســـاء ، ياله من حساء لذيذ ، مزيدا منه ، مزيدا منه .

الجـد : يا للعيب ! اهدأ قليــلا ، لازلت كعهدى بك سيء الأدب ، انك ستكسر طبقك .

هـو : (ينهض نصف نهوض من على مقعده) أريد المزيد

(يمسك بالقدر ويسحبها نحوه فيقلبها ويندلق الحساء فوق المـائدة ويتساقط على ركب الأطفال ويحرقها فيصرخون من الألم) .

الجـدة : أرأيت ؟ ألم أحذرك ؟

الجـد : (وهو يهوى على خد تيلتيل بصفعة رنانة) هذا جزاؤك ..

هـو : (يتخاذل لحظة ثم يضع يده على خدّه متلذذا) هكذا كانت صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى بيننا ، ما أبركهـا ، وما ألذّها ، ينبغى أن أقبـل اليد التى صفعتنى ..

الجـد : طيّب طيب ، عندى منها المزيد اذا أحببت •

(تدق الساعة النصف بعد الثامنة) •

هـو : (وهو يفزّ) الثامنة والنصف ، (يقذف بالملعقة) هيّا ، لم يبق أمامنا الا الوقت الذى يلزمنا •

الجـدة : أيجمل بك هـذا ، اصـبر بضع دقائق فبيتكم لم يندلع فيه حريق ، نحن لا نراكما الا نادرا •

هـو : كلا ، لا أستطيع فان بسمة النور طيبة القلب ، وقد وعدتها ، هيا يا ميتيل ، هيا •

الجـد : عجبى للأحياء ، لا يخـرج من يدهم الا ازعاج الغير ، متحلّلين بأشغالهم واضطراب أيامهم •

(يأخذ تيلتيل القفص ويدور على الجميع يعانقهم بعجلة) •

هـو : الوداع يا جـدّى ، الوداع يا جـدتى ، الوداع يا اخـوتى وأخـواتى ، بيرو ، روبير ، بولين ، مادلين ، ريكيت ، وانت أيضا يا كيكى ، ان مقامنا بينكم قد آذن بالانتهاء ، لا تبكِ يا جدتى ، سنأتى لزيارتكم مرارا •

الجـدة : تعالَ كل يوم ومعك أختك •

هـو : نعم ، نعم ، سنعود ما أمكننا •

الجـدة : هذا هو كل ما بقى لنا من أسباب الفرح ، ويوم

يمر ذكرنا ببالكما هو عندنا يوم عيد .

الجـد : هذه هي تسليتنا الوحيدة .

هـو : البدار ! البدار ! أين القفص ؟ أين الطائر ؟

الجـد : (يعطيه القفص) ها هو ذا ، ليكن مفهوما انني لست ضامنه ولا ضامن صدق لونه .

هـو : الوداع ، الوداع .

الاخوةوالأخوات : الوداع يا تيلتيل ، الوداع يا ميتيل ، لا تنسيا أن تجيئا لنا بحلوى ، عودا الينا ، عودا الينا .

(يلوح الجميع لهما بمناديلهم على حين يبتعد الصبيان ببطء ويحدث أثناء الفقرات الأخيرة من الحوار السابق أن الضباب الذى شاهدناه فى مطلع المنظر يعود فينعقد وتخفت الأصوات وتختفى المرئيات كلها الا تيلتيل وميتيل وهما واقفان والستار يهم بالنزول عند شجرة البلوط الضخمة) .

هـو : من هنا الطريق يا ميتيل .

هـى : أين بسمة النور .

هـو : لست أدرى ، (ينظر الى الطائر فى القفص) عجبى ! لم يبق له لونه الأزرق ، أصبح أسود اللون .

هـى : خذ بيدى فأنا فى شدة الخوف والبرد .

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الرابع : قصر فحمة الليل

بهو فسيح رائع ، له فخامه تنطق بالجد والصرامه ووقار الأضرحة ، واشترك مختلف المعادن فى اقامته ، يخيل لرائيه انه بازاء معبد اغريقى أو فرعونى ، اعمدته وعقودها وكذلك زينته وكساء أرضه من المرمر الأسود ، والذهب ، والأبنوس ، البهو على هيئة مستطيل ضلعاه الأفقيان متوازيان والامامى أطول من الخلفى،وضلعاه الجانبيان غير متوازيين ، درجات السلم الذى يتسلقه تكاد تشغل عرضه كله ، وتقسمه الى ثلاثة مسطحات تؤدى الى غيابته ، الواحد منها يرتفع عن سابقه قليلا ، بين الأعمدة على اليمين واليسار أبواب من البرونز الداكن ، وفى وسط البهو من ناحية الخلف باب ضخم من النحاس ، لا يعم البهو الا ضوء غامض كأنه مستمد فى أغلبه من بريق المرمر والأبنوس، ونرى عند رفع الستار «فحمة الليل» على هيئة امرأة رائعة الجمال ترتدى ثوبا أسود طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ، يحف بها طفلان ، أحدهما يكاد يكون عاريا ، شأن كيوبيد رسول الحب عند الاغريق ، طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ، فواقف جامدا ، تغطيه غلالة من رأسه الى أخمصيه ، تدخل الهرة من على اليمين فى مقدمة المسرح) .

فحمة الليل : من القادم ؟

الهرة : (وهى تتهــاوى من الاعيـاء على درج السُلّم المرمرى) أنا يا أمّى ، قد هدنى التعب .

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى ، لقــد بدا عليـك الشحـوب والهزال ، وتلطخ بالطين جسدك حتى شواربك ، فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزاريب تحت الثلج والمطــر ؟

الهرة : ليس الشأن شـأن أسـطح ومزاريب ، بل شأنٌ جلل يهدّد السرّ الذى بيننـا . لقـد نجحت فى الهرب لحظة لأطير اليك بالخبر ، ولكن أخشى أن يكون الأمر قد خرج من يدنا .

فحمة الليل : ماذا تقولين ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : سلف لى أن حدثتك عن تيلتيل ابن الحطّاب وعن الماسة السحرية ، انه سيحضر اليك ليطلب منك الطائر الأزرق .

فحمة الليل : دعيه يجرى وراءه .

الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب ان لم تصنع معجزة ، سأقص عليك ما جرى ، ان بسمة النور التى تقود خطى تيلتيل وتخوننا جميعا قد انضمت قلبا وقالبا

الى صف الانسان ، وقد علمت بسمة النـور أن الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد الذي يقوى على العيش في ضـوء النهـار مختبىء هنـا بين أشباهه في اللون من طيـور الأحـلام التي تستمدّ غـذاءَها من ضـوء القمر وتموت حالما ترى الشمس ، وبسمة النور على علم بأن اجتياز عتبة هذا القصر محرّم عليهـا ولكنهـا سترسـل الصبيين بدلا منهـا ، واذ كنت أنت لا تستطيعين صدّ الانسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدري ما الحال • لأنه اذا حلّت النـكبة وفاز الصبيان بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا الا أن نختفي •
يا الهي ، يا الهي ، ماذا جرى للدنيا ؟ في أي زمن أصبحنا نعيش ؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة واحدة. وعجزت في السنوات الأخيرة عن فهم الانسان، ما غرضه ؟ أحتم له أن يعرف كل شيء ؟ لقـد نجح الى اليوم في أن يهتك من أسراري ثُلثَها ، فالمخاوف التي أطلقتُها أصبحت بدورها خائفـة ، ولا تجرؤ على الخروج للناس ، والأشباح التي استخدمها قـد هـربت ، وأغلب الأمراض التي أنشرها قد أقعدتها العِلَلْ •

الهرة : أعلم هذا يا أمي فحمة الليل • وأعلم أن الزمن

عصيب ، أننا نكاد ننفرد وحدنا فى خوض غمارٍ المعركة ضد الانسان ، ولكن ها أنذا أسمع خطوَ الصبيين يقترب ، فلا أجد أمامنا الا حلاً واحدا ، ينبغى ـ لأنهما فى مرحلة الطفولة ـ أن نقذف فى قلبيهمـا من الرعب ما يسلبهما الشجاعـة على المضىّ فى سبيلهما أو على فتـح الباب الكبـير فى نهاية البهو للوصول الى طيور القمر التى تختفى وراءه • أما أسرار بقية الكهوف فهى كفيلة بأن تزيغ بصرهما أو تزلزل من الرهبة قلبيهما •

فحمة الليل : (وهى تسترق السمع الى ضجة فى الخارج) ماذا أسمع ؟ ان القادمين أكثر من اثنين •

الهرة : لا تخشى شيئا ، انهم أصدقاؤنا ، الرغيف وقمـع السكر ، أما المـاء فقد أقعدها المرض والنار عاجزة عن المجيء لأنهـا تمُتّ بنسب الى بسمة النور ، أما الكلب فهو وحـده الذى ليس من حلفائنـا ، وهيهات لنا أن نهرب من ملاحقته •

(تيلتيل وميتيل والرغيف وقمع السكر والكلب يدخلون بتهيب من اليمـين عنـد مقدمة المسرح) •

الهرة : (تسارع الى التقدم للقاء تيلتيل) من هنا ، من هنا ، يا سيّدى الصغير ، لقد أنبأت فحمة الليل بمقدمكم

وقد سرّها كل السرور أن تستقبلكم ، واعذروها اذا هى لم تسارع الى باب القصر للحفاوة بكم فان بها وعكة خفيفة .

هو : طاب صباحك سيدتى فحمة الليل .

فحمة الليل : (بصوت محنق) طاب صباحي ؟ هذا كلام لا أستسيغه ، كان ينبغى لى أن تقول « طابت ليلتك » أو على الأقل « طاب مساؤك » .

هو : (وهو خجل من ذنبه) عفوا سيدتى ، كنت أجهل هذا (يشير بأصبعه الى الطفلين الملازمين لفحمة الليل) أهما ابناك الصغيران ؟ ما ألطفهما

فحمة الليل : نعم ، الأول هو السبات .

هو : ولماذا هو جد سمين ؟

فحمة الليل : لأنه يشبع من النوم .

هو : وهذا الآخر المتستر . لماذا يحجب وجهه . ما علته ؟ ما اسمه ؟

فحمة الليل : انها بنت ، هى أخت السبات ومن الخير أن لا أذكر لك اسمها .

هو : ولماذا ؟

فحمة الليل : لأن اسمها تنفر منه الأذان ، ولكن دعنا نتكلم في مسألة أخرى ، لقد أنبأتني الهرّة أنك جئت تبحث عن الطائر الأزرق .

هــو : نعم سيّدتي ، فهل لك ان أذنت ِ أن تخبريني أين هو ؟

فحمة الليل : لا أعرف عنه شيئا ، يا صديقي العزيز ، غاية ما أستطيع أن أؤكد لك أنه ليس موجودا هنا وأنني لم أره قط .

هــو : لا . لا. لقد أخبرتني بسمة النور أنه هنا . وهي على ما تقول أمينة ، فهل لك أن تعطيني مفاتيحك.

فحمة الليل : ولكن يا صديقي الصغير أنت تدرك ولا ريب أنني لا أستطيع أن أسلم مفاتيحي لأول قادم . فاني قيّمة على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة عنها . ومحرّم عليّ كل التحريم أن أعهد بمفاتيحي الى أحد فما بالك اذا كان طفلا .

هــو : ليس لك الحق في حجزها عن الانسان اذا طلبها، انى على علم بهذا .

فحمة الليل : من الذى قال لك ؟

هــو : بسمة النور .

فحمة الليل : بسمة النور مرة أخرى ، بسمة النور دائما أبدا، ما دخلها فى هذا ؟

الكلب : أتعجب يا مولاى الصغير أن أنتزع منها المفاتيح عنوة ؟

هـو : « الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب » (الى فحمة الليل) لا داعى للجدل سيدتى ، اعطنى المفاتيح من فضلك .

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل ، أين هى ؟

هـو : (يلمس قمة قلنسوته) أترين الماسة ؟

فحمة الليل : (وقد أسقط فى يدها) أمرك ، ها هو ذا مفتاح كل أبواب البهو ، ذنبك على جنبك اذا أصابك شر . فانى بريئة مما يحدث لك .

الرغيف : (فى قلق شديد) أثمة أخطار ؟

فحمة الليل : أخطار ؟ غاية القول أننى أنا نفسى لا أدرى كيف أسلم حين تنشق بعض هذه الأبواب البرونزية عن الهوة وراءها ، فهناك حول البهو فى كل كهف من كهوف البازالت مجمع كل علة وكل بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل المحن والأرزاء ، وكل تدبير خفى تعانى منه الحياة . منذ الخليقة ، وليس الا ببذل غاية الجهد ان

استطعت حبسها فى مخابئها بعون من « القدر »
وأؤكد لك أننى أجد أكبر المشقة فى أن أفرض
شيئا من النظام على هذه الكائنات الهوج المتمردة ،
فأنت سترى رأى العين ماذا يحدث حين يهرب
أحدها وينفلت الى سطح الأرض .

الرغيف : ان تطاول عمرى وتجربتى واخلاصى تؤهلنى
بطبيعة الحال لأن تسند الىّ حماية هذين الصبيين،
من أجل هذا ، سيدتى فحمة الليل ، اسمحى لى
أن أوجه اليك سؤالا .

فحمة الليل : هاته .

الرغيف : اذا حاق بنا خطر فمن أىّ ناحية نهرب ؟

فحمة الليل : لا وسيلة للهرب .

هو : (يأخذ المفتاح ويصعد أول الدرج) لنبدأ من
هنا ، هذا الباب البرونزى ، ما وراءه ؟

فحمة الليل : وراءه الأشباح فيما أعتقد ، لقد مضى زمن طويل
منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرة .

هو : (يضع المفتاح فى القفل) سأرى (الى الرغيف)
قفص الطائر الأزرق . أين هو ؟

الرغيف : (أسنانه تصطك) لا أقول هذا لأننى خائف ولكن
ألست ترى من الأفضل أن لا نفتح الباب وأن
نكتفى باختلاس نظرة من ثقب القفل ؟

هــو : لم أطلب مشورتك .

ميتيــل : (تنفجر بالبكاء فجأة) أنا خائفة . أين قمع السكر؟ أريد أن أعود للبيت .

قمع السكر : (يقترب منها وهو مهموم لها ومحتف بها) انني هنا بجانبك يا آنستي ، كفكفي دمعك ، سأقطع أحد أصابعي وأهبك حلوى نبوت الخفير .

هبو : فضّوها وخلّصونا ، (يدير المفتاح في القفل ويجذب الباب بحذر وحالما يفعل تنفلت خمسة أو ستة أشباح لكل منها هيئة عجيبة تختلف عن هيئة الآخر ، وتنتشر في كل جانب ، يُلقي الرغيف من الرعب بالقفص ويختبيء في غيابة البهو وتقوم فحمة الليل بمطاردة الأشباح وهي تصرخ في وجه تيلتيل .

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا ، اغلقوا الباب والا خرجوا جميعا ولم نستطع أن نقبض عليهم . انهم في محبسهم يعانون الملل منذ ألف الانسان أن يهزأ بهم (تطارد الأشباح وتحاول أن تسوقهم الى باب محبسهم مستعينة بسوط على شكل أفعى) أعينوني ، أعينوني ، من هنا ، من هنا .

هــو : (الى الكلب) أعنها يا تيلو ، هيّا .

الكلب : (وهو يقفز وينبح) نعم ، نعم ، نعم ،

هـو : الرغيف ، أين هو ؟

الرغيف : (من مخبئه فى غيابة البهو) اننى هنا ، بجانب الباب حتى أمنع بقيتهم من الخروج ،

(وحين يتقدم أحد الأشباح الى ناحيتـه نراه يهرب منه جريا وهو يطلق صـيحات مرتعبة) ،

فحمة الليل : (الى ثلاثة أشـباح قبضت على أعناقهـم) أما أنتم فمن هنـا ، (الى تيلتيـل) وارب البـاب قليلا ، (تدفع بالأشباح الى الكهف) لا خير من بقائهم هناك ، (الكلب يسوق شبحين آخرين الى المحبس) هيا ادخلا أنتما أيضا ، أنتم تعلمون أن لا خروج لكم الا يوم عيد جميع القديسين (تقفل الباب)،

هـو : (يذهب الى باب آخر) وماذا وراء هذا الباب ؟

فحمة الليل : وما جـدوى بحثـك ؟ لقـد قلت لك ان الطائر الأزرق لم يأت هنا قط ، ولكن الأمر أمرك ، افتحه ان كان هـذا يروقك ، ستجد من ورائه الأمراض ،

هـو : (والمفتاح فى القفل) أينبغى الاحتراس منها حين أفتحـه ؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك ، انها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة

مستخذية لا تعرف طعم السعادة فان الانسان يَشن عليها منذ زمن غاراته العنيفة وبالأخص منذ أن اكتشف الميكروب ، فافتح اذن لترى بنفسك .

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعية فلا يرى شيئا) .

هو : أَهم لا يخرجون ؟

فحمة الليل : لقد سلف لى أن أخبرتك ، فأغلبها قد أقعدته العلة وقلة الهمّة ، لأنها لم تجد فى قلوب الأطباء أقلّ ذرّة من الرحمة ، فادخل لحظة فسترى بعينك .

هو : (ما يكاد يدخل حتى يخرج) لم أجد الطائر الأزرق ، ان الأمراض بادية الملّة لم تقوّ حتى على رفع رؤوسها .

(مرض صغير فى مباذله من ثياب المنزل خف وعباءة وطاقية من القطن يخرج وينرع البهو جيئة وذهابا) .

هو : انظروا ، هذا مرض صغير قد هرب ، مَنْ هو ؟

فحمة الليل : انه أصغرهم ولا خطر له ، هو الزكام . انه أقلّهم لقاة للاضطهاد ، وأوفرهم عافية . (تنادى الزكام)

تعالَ هنا يا ولدى ، قد بكّرت فى الخروج قبل أوانك ، ينبغى لك أن تنتظر حلول الربيع ٠

الزكام : يعطس ويسعل ويمسح أنفـه ويعـود الى الكهف فيغلق تيلتيل بابه ٠

هـو : (يتجه الى الباب المجاور) لنرَ حكايتَه ، ما وراء هذا الباب ؟

غضبة الليل : احترس ٠ وراءه الحروب ، انها بلغت اليوم ما لم تبلغه من قبل من الضراوة والعنفوان ، الله وحده يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منهـا ولكنهـا لحسن الحـظ مفرطة البـدانة من أثر التخمة ، ثقيلة الحركة ، فلنتساند جميعا ونستعد لصدّ الباب وأنت تواربه لتلقى نظـرة عجـلى الى ما وراءه ٠

(تيلتيل يأخذ كل حـــذره وهو يوارب الباب بحيث لا ينفرج الا بأقل قدر يتيح له أن يصوب من خلاله نظره ، فما يكاد يفعل حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد الباب ويصرخ) ٠

هـو : أسرعـوا أسرعـوا أسرعوا ، صـدّوا البـاب فى وجوههم ، قد رأتنى فأقبلت هاجمة على الباب تريد أن تقتحمه ٠

فحمة الليل : هيّا بنا جميعا نصدّ عليها البـاب بقـوّة ، وأنت يا رغيف ، ماذا دهاك ؟ ماذا تفعل ؟ تعـالَ معنـا نصدّ الباب جميعا فما أشدّ قوّتها ، ها قد نجحنا، انها قد استسلمت ، جاء نجاحنا فى آخر فُرصة ، (الى تيلتيل) أرأيت ؟

هـو : نعم ، ما أشـدّ ضـخامتها وما أبشـع منظـرها ، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها .

فحمة الليل : لا ريب انه ليس عندها ، والاّ لكانت التهمته على الفور ، هل قنعت الآن ؟ ألست ترى أن لا جدوى من بحثك ؟

هـو : ينبغى أن أرى كل شيء ، هذه هى وصية بسمة النور الىّ .

فحمة الليل : وصـية بسمة النور ! ما أسـهل الكلام على مَنْ يخاف ويقبع فى داره .

هـو : فلنمضِ الى الباب المجاور . ما خبره ؟

فحمة الليل : اننى أحبس وراءه أصناف الدياجير والرعب .

هـو : هل أستطيع أن أفتح الباب ؟

فحمة الليل : كل الاستطاعة ، فانها على شيء من الهدوء ، شأن الأمراض .

(تيلتيل يفتح الباب بتوجس ويجـــازف بنظرة الى ما وراءه) .

هــو : لا أرى شيئا . انها ليست وراء الباب .

فحمة الليل : (تنظر بدورها الى الكهف) يا بنات الدياجير ، ماذا تفعلن فلتخرجن اذن قليــلا ، ففى الخروج متعــة لكنّ ، تفـكّ عنكن تجمّــد أوصـالكن ، ويا بنات الرعب ، لا تخشين شيئا .

(تخرج بنات الدياجير وبنات الرعب ، الجماعة الأولى فى ثياب سود ، والجماعـة الثانية فى ثياب يميل لونها الى الاخضرار ، ويتلمسن بمذلة خطوة لهن قصـــيرة خارج الباب فاذا صدرت من تيلتيل حركة غــير متعمدة يسرعن الى دخول الكهف) .

فحمة الليل : ماذا أصابكن ، تجلّدن قليلا ، فليس هو الا صبىّ لا يخرج من يده ايذاؤكن ، (الى تيلتيل) قــد بلغ التهيّب عندهن ذروته ، اللهــم الا كبرياتهن اللاتى تبصرهن فى غيابة الكهف .

(تيلتيل يصوب نظره الى غيابة الكهف)

هــو : ما أبشع منظرهن .

فحمة الليل : انهن مقيدات بالسلاســل ، هن وحــدهن اللاتى لا يخفن من الانســان ، اقفــل البــاب والاّ ثار غضبهن .

هــو : (ينتقل الى الباب المجاور) هذا باب يخيّم عليه الظلام ، ما خبره ؟

فحمة الليل : وراءه أصناف من الأسرار ، فاذا لم تعدل عن اصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن ايّاك أن تدخل، وكن أشدّ حذرا ، ولنستعد نحن جميعا لصدّ الباب عليها كما فعلنا مع الحروب •

(تيلتيل يوارب الباب بحذر شديد ويمد بخوف رأسه من خلال الفرجة) •

هــو : ويْ ، ما أشدّ البرودة ، انهــا تلسع عينيّ ، أسرعوا الى الباب فاغلقوه ، صدّوه لاحباط جهد من يدفعه ، (فحمة الليل والكلب والهرة وباقى الزمرة يصدون الباب) آه ، قد رأيت ••

فحمة الليل : ماذا رأيت ؟

هــو : (وهــو مضطــرب) لا أدرى ، انه شيء مرعب ، كن جميعا جالسات كالأصنام التى لا عيون لها، مَنْ كان هذا العملاق الذى أراد امساكى ؟

فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب ، لا ريب انك رأيت شيئا مرعبا فلا زلت لا يفارقك شحوبك وارتعاشــك •

هــو : نعــم ، رأيت شــيئا لم أكن أتصــوّره ، شــيئا لم

يصادفنى قط من قبل ، ان يدىّ قــد جمدتا من الصقيع .

فحمة الليل : سيحيق بك عما قريب بلاء أشدّ اذا مضيت فى بحثك .

هــو : (ينتقل الى الباب المجاور) وهذا الباب .. أمن ورائه أيضا شيء مخيف ؟

فحمة الليل : كلا ، وراءه خليط من أشياء كثيرة ، انى أحتفظ وراءه بالنجوم الخامدة ، وعطورى المفضلة ، وبعض أصــناف من الوميض الذى اختص به وحــدى كوميض السعالى ووميض الدود المنير واليراعة المضيئة وأضم اليها أيضا قطر الندى وأغنية البلبل وما الى ذلك .

هــو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخابية وأغنية البلبل كما تزعمين ، لا ريب ان هذا هو بابها .

فحمة الليل : افتحــه ان شــئت فليس لمَنْ وراءه شرّ يصيب أحــدا .

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعيــه وما يكاد يفعل حتى تنفلت النجوم من المحبس على هيئة فتيات رائعات الجمال ، يجللهن وميض منوع الألوان ، وتنتشر فى البهــو وتؤلف على الدرج وحــول الأعمــدة حلقات

ذات ظرف وحسن ، يغمرهن ضوء متسلل ضوء الغسق ، ثم تبدأ في رقصة دائرية . وتنفلت أيضا عطور فحمة الليل على هيئة أطياف رقت حتى تكاد العين لا تراها ، وينفلت كذلك وميض السمالي واليراعة المضيئة وقطر الندى الشفاف وتنضم الى سابقاتها ، على حين تنبعث من الكهف أغنية البلبل وتجوب أرجاء قصر فحمة الليل) .

ميتيل : (وهي تصفق بانبهار) ما أجملهن من فتيات .

هو : ما أبرع رقصهن !

هي : وما أطيب عرفهن !

هو : وما أحلى غناءهن .

هي : ومن هي هذه الأطياف التي تكاد العين لا تراها .

فحمة الليل : هي عطور ظلالي .

هو : وهاتيك اللاتي يشبهن سبائك النور الصافي ، مَنْ هُنَّ ؟

فحمة الليل : انهن جماعة قطر الندى الذي تألفه الغابات والسهول ولكن آن للهوهن أن ينقضي ، سيتمادين فيه فلا يفرغن منه أبدا ، انهن اذا أخذن في الرقص فلن أفلح الا بعد مشقة بالغة في سوقهن الى المحبس من جديد (تدعوهن الى الانصراف بدق كفٍّ على كفٍّ) هيا هيا اسرعن يا نجوم ، ليس هذا أوان الرقص فالسماء قد حجبتها سحب

كثيفة ، هيا هيا اسرعن ارجعن جميعا والا ذهبت أتصيّد شعاعا من الشمس •

(النجوم والعطور تهرب فى رعب وتهرع الى الكهف فينقفل عليها الباب وتنقطع أغنية البلبل) •

هــو : (يتجه الى الباب الكبير فى غيابة البهو) هذا هو الباب الكبير ، باب وسط البهو •

فحمة الليل : (بجدّ) لا تفتح هذا الباب •

هــو : لمـاذا ؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحرّم •

هــو : اذن فالطائر الأزرق مختبىء وراءه ، هذا ما قالته لى بسمة النور •

فحمة الليل : (تكلمه بحنان الأمّ)أنصت الىّ يا بنىّ ، لقـد عاملتك بطيبة ومجاملة ، وفعلت لك ما لم أفعله هنا لأحد من قبلك ، كشفت لك عن أسرارى ، لأننى أحبـك وأشـفق على صـباك وبراءتك ، وها أنذا أكلمك كلام أمّ لوليدها ، انصت الىّ ، صدقنى يا بنىّ ، كف عن بحثك ولا تمض فيه ، اياك أن تتحدى القدر فتفتح هذا الباب •

هــو : (وقد تزعزع كثيرا) ولكن لمـاذا ؟

فحمة الليل : لأنى لا أحب لك أن تهلك ، لا أحد ، اسـمع

كلامى ، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار شعرة رجع حيًا لضوء النهار ، فان كل ما يتصوّره العقل من أصناف المخاوف وكل أنواع الهلع ، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض من الأهوال البشعة المنكرة لا تعدّ شيئا مذكورا اذا قيست حتى بأهون ما يهاجم الانسان منها اذا ما لمحت أول نظرة له حافة الهاوية التى لا يجرؤ أحد على تسميتها ، ينبغى اتقاء هذا الباب ، حتى أنا ، ان بقيت أنت على اصرارك رغم كل تحذير لن أجسر على التصدّى لهذا الباب ولو بلمسة من طرف أصبعى، فأرجوك أن تصبر حتى ألوذ ببرج لى منيع ليس به نوافذ ، الأمر الآن بين يديك ، وفق عقلك وتفكيرك .

ميتيل : (تنفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا يبين فى طيّها كلامها وتجاهد فى جرّ تيلتيل).

الرغيف : (أسنانه تصطك) لا تقدم يا سيّدى الصغير (يركع أمامه) رحمة بنا ، اننى أتوسّل اليك وأنا راكع أمامك ، أنت ترى أن فحمة الليل على حقّ .

الهرة : ان حياتنا جميعا هى التى تضحّى بها .

هو : لا مفرّ من أن أفتح الباب .

ميتيل : (بدنها) ينتفض من النشيج لا أريد ، لا أريد .

هو : ليأخذ كل من الرغيف وقمع السكر أختي ميتيل من يد للهرب معها فاني عامد الى فتح الباب .

فحمة الليل : ليهرب من قدر ، سارعوا الى الخروج ، فقد آن الأوان .

(تهرب فحمة الليل) .

الرغيف : (يهرب في ذعر) انتظر حتى نبلغ على الأقل باب البهو .

الهرة : (تهرب أيضا) انتظر ، انتظر .

(يختبئون وراء الأعمدة في الطرف الأدنى من البهو ويبقى تيلتيل وحده مع الكلب بجانب الباب الكبير) .

الكلب : (يلهث ويلحقه الفواق وهو يجاهد في كتم هلعه) أما أنا فسأبقى ، سأبقى ، لست بخائف ، سأبقى ، سأبقى الى جانب مولاى الصغير سأبقى ، سأبقى .

هو : (يربّت عليه) أحسنت ، أحسنت ، تعال يا تيلو قبّلني ، ها نحن قد أصبحنا لا ثالث لنا فلنتجلّد ، والا فالويل لنا . (يضع المفتاح في القفل فتبعث صرخة رعب من الطرف الأدنى للبهو حيث لاذ

الهاربون ، وما يكاد المفتاح يلمس القفـل حتى ينشق الباب الكبير من وسطه وينزلق مصراع الى اليمين ومصراع الى اليسار ويختفيان داخل جدار الباب فتبين فجأة حديقة مدهشة كأنما أبدعتها أروع الأحـلام وجللتهـا بضياء الغسق ، جاوزت فى جمالها حدّ كل تصديق وكل قيد وكل وصف بالكلام ، تحلق بهـا خـلال الكواكب والنجـوم سروب من طيور زرق كأنهـا الحور تضيء كل شيء تلمسه وهي لا تنفك فى طيرانها تلمّ بجوهرة اثر جوهرة وتتنقل من شعاع اثر شعاع من أشعة القمر ، وهي تحوم دواما وفى انسجام حتى تبلغ حدّ الأفق ، أصبحت من كثرتهـا يُظن انهـا أنفاس هذه الحديقة المدهشة وسماؤها الزرقاء ، بل يظن انها هي الحديقة ذاتهـا ، تيلتيل واقفٌ يغمره ضوء الحديقة وهو منبهر فى ذهول .

هنـو : ما أبدعها من سـماء (يلتفت ناحيـة الهـاربين) اسرعوا ، تعـالوا ، الطيـور الزرق هنـا ، بعينهـا وذاتها ، لقد فزنا بها أخيرا ، آلاف من الطيـور الزرق ، بل ألف ألف منها ، عندنا منها هنا أكثر من مطلبنا بكثير ، تعالىْ يا ميتيل ، تعال يا تيلو ، تعالوا جميعا ، أعينونى (يندفع نحو الطيور) انها

فى متناول اليد • طيعة لا ترهبنا ، تعالوا من هنـا (تسرع اليه ميتيل يرافقها الآخرون ويدخلون الى الحديقة المدهشة ولا تتخلف عنهم الا فحمة الليـل والهـرة) انظروا ، انظـروا ، ما أوفـر عددها ، انها تتهاوى على أكتافنا ، انظروا ، انهـا تأكل ضوء القمر ، ميتيل ، أين أنت اذن ، من كثرة الأجنحة الزرق وريشها المتساقط أصبحت لا أتبين شيئا سـواها ، اياك أن تعضهـا يا تيلو ، لا تؤذها تناولها برفق •

ميتيـل : (تحف بها الطيور الزرق) اقتنصت سبعة منها • كم تصفق أجنحتها ، ان يدى لا تفلح فى القبض عليها •

هـو : وأنا كذلك ، فقد أمسكت منها بعدد أكثر من ملء يدى ، ها هى قد هربت ، ها هى قد عادت ، وتيلو كذلك قد أمسك ببعضها ، انها تجرفنا معها وتكاد تحملنا الى السماء ، تعالوا نخرج من هنـا ، ان بسمة النور تنتظرنا ، ما أشد سرورها حين ترى غنيمتنا ، من هنا ، من هنا • (يغادرون الحديقة فى لهفة وأيديهم ملأى بطيور زرق تصفق أجنحتها ويخترقون البهو وسط موجة من أجنحة مضطربة

ويخرجون من ناحية اليمين من حيث دخلوا من قبل ، وراءهم الرغيف وقمع السكر ولم يمسك أحدهما بطائر . وتبقى فحمة الليل والهرة وحدهما فتصعدان الى غيابة البهو تتأملان الحديقة بقلق) .

فحمة الليل : أتراهم قد فازوا بالطائر الأزرق ؟

الهرة : كلا ، فاني أراه فوق شعاع من أشعة القمر لم تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه .

(وتهبط الستار فلا تلبث ان تدخل بسمة النور من اليسار أمامها فى عين الوقت الذى يدخل فيه من اليمين أمام الستار كل من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون وأيديهم مثقلة بالطيور الزرق ولكنها اصبحت جثثا هامدة ، رؤوسها متدلية وأجنحتها محطمة) .

بسمة النور : هل ظفرتم بطائر أزرق ؟

هو : نعم ، نعم ، بقدر ما نودّ ، بل بألف منه ان شئنا ، ها هى ذى أمامك ، هل ترينها ؟ (ينظرون الى الطيور وهم يمدّون بها الى بسمة النور فيتبيّنون انها فارقت الحياة) ماذا جرى ، انها ماتت ، ماذا فعلوا بها ؟ طيورك أنت يا ميتيل ، أميّتة هى أيضا طيور تيلو ميتة كذلك (يُلقى وهو محنق بجثث

الطيور) مستحيل أن أصدق ، يا للبشاعة ! من الذى قتلها ، اننى جدّ تعيس • « يخفى رأسه فى ابطه وينتفض بدنه بالنشيج » •

بسمة النور : (تحضنه بحنان الأم) لا تبك يا بنىّ ، انك لم تمسك بالطائر الأزرق الذى يقوى على العيش فى ضوء النهار • لقد أفلت منا ، ولكننا سنجده ولا ريب •

الكلب : (يتأمل جثث الطيور) أتصلح للأكل ؟ (يخرجون جميعا من اليسار) •

« ستار »

المنظر الخامس

الغـــابة

(الغابة ، والوقت ليل ، والقمر مضيء ، وأشجار هرمة من أصناف مختلفـــة ، من أبرزها شجرة سنديان ، وزان ، ودردار ، وحور ، وصنوبر ، وسرو ، وزيزفـــون ، وقسطل الخ الخ ..) .

(تدخل الهرّة) .

الهرة : (وهي تحني رأسـها بالتحية والتوقـير أمام كل شجرة) الى كل شجرة هنا ، تحية وسلاما .

الأشجار : (وأوراقها تهمس) تحية لك وسلاما .

الهرة : يومنا هذا يوم أغرّ ، فان عـدوّنا سـيأتي ليفكّ عقـالكن ويسلم اليـكن رقبتـه ، انه تيلتيل ابن الحطاب الذي طالمـا نالكن بالأذى ، انه يبحث عن الطائر الأزرق الذي تخفينه عن الانسان منذ بدء الخليقة ، والذي يعلم وحده سرّنا ، (همس أوراق الشجر) ماذا تقُلن ؟ آه ! انهـا شـجرة الحـــور التي تتكلم ، نعـــم انه يملك المـــاسة السحـرية التي تكشف عن سريرتنـا ، انه قـد

يرغمنا على أن ندفع له بالعصفور الأزرق ، ونصبح جميعاً بعدئذ أسرى فى قبضة الانسان وتحت رحمته ، (همس أوراق الشجر) من تتكلم ؟ أنت يا شجرة السنديان ؟ كيف حالك ؟ (همس أوراق شجرة السنديان) لا يفارقك الزكام أبدا ؟ هل كفّ الليمون عن علاجك ؟ تشكين دائما من الروماتزم ؟ سببه - صدّقيني - هو هذه الأعشاب الكثيرة التى تفرطين فى لفّ قدميك بها ، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن ؟ (همس أوراق شجرة السنديان) ماذا تقولين ؟ نعم ، لا مجال للتردّد ، هذه فرصة متاحة لنا ينبغى أن نقتنصها ، لا بُدّ من القضاء على الصبى (همس أوراق الشجر) ماذا تَقُلن ؟ نعم ، انه مع أخته ، ينبغى أن تموت هى أيضا ، (همس أوراق الشجر) نعم ، الكلب يرافقهما أيضا ، هيهات أن نبعده عنهما ، (همس أوراق الشجر) ماذا تقلن ؟ نقدم اليه رشوة ؟ هذا مستحيل ، لقد جرّبنا كل حيلة فلم نفلح ، (همس أوراق الشجر) ها أنت يا شجرة الصنوبر تتكلمين . اعددن أربعة ألواح من الخشب لأربعة نعوش ، فتلتيل ترافقه أيضا النار وقمع السكر والماء

والرغيف ، انهم جميعا فى صفّنا اللهم الا الرغيف فهو غير مضمون ، بسمة النور وحدها لها ولاء للانسان ولكنها لن تأتى فقد قمتُ باقناع تيلتيل وأخته بالتسلل خفية حين نامت ، هذه فرصة فريدة (همس أوراق الشجر) هأنذا أسمع صوت شجرة الزان ، نعم ، الحق معك ، نعم ، ينبغى ابلاغ الخبر الى الحيوانات ، هل الأرنب ما يزال يملك طبلته ؟ انه عندكن ؟ فليدق على الطبلة لينادى جميع الحيوانات ، ها هم أصحابنا قد أتوا .

(يبتعد صوت دق الطبلة ، يدخل تيلتيل وميتيل والكلب) .

تيلتيل : أهذا هو المكان ؟

(الهرة تسرع فى اهتمام الى لقائهما وتفرط فى مظاهر الاحترام لهما والحفاوة بهما) .

الهرة : ها أنت ذا قد أتيت يا سيّدى الصغير ، ما أجمل طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء ، لقد سبقتك لأعلن عن مقدمك ، كل شىء على ما يُرام ، سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرّة ، انى واثقة من ذلك ، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته مناديا أكابر حيوان هذه المنطقة ، انها متهيبة لا تجسر

على الاقتراب (ضجة أنواع مختلفة من الحيوان من بينها بقر وجاموس وخنازير وجياد وحمير الخ الخ) (الهرة تنتحى بتيلتيل جانبا وتهمس له) ولكن لماذا جئت بالكلب ؟ لقد سلف أن قلت لك انه على خصام مع الجميع ، حتى مع الأشجار ، وأخشى أن يفسد كل شيء برفقته الكئيبة .

هـو : لم أستطع التخلص منه (الى الكلب مهدّدا) هل لك أن تغرب عنى أيها اللعين !

الكلب : مَنْ ؟ أنا ؟ لمَ ؟ ماذا فعلت ؟

هـو : قلت لك أغرب عن وجهى ، أصَعبٌ عليك أن تفهم ؟ المسألة بسيطة ، لسنا فى حاجة اليك ، انت تضايقنا باصرارك وقد نفد صبرنا .

الكلب : سألجم لسانى ، سأتبعكم من بعيد فلا يرانى أحد، هل أقف لك على ساقىّ وقفة المستجدى ؟

الهرة : (تهمس لتيلتيل) هل تصبر على هذا العصيان ؟ اضربه بعصاك مرارا على أنفه ، انه حقا لا يُطاق.

هـو : (يضرب الكلب) هذا درس يعلّمك المسارعة الى الطاعة .

الكلب : (يصرخ من الألم) آى ْ ، أى ْ ، أى ْ .

هـو : ماذا تقول ؟

الكلب : ينبغى أن أقبّل اليد التى ضربتنى ، ضرب الحبيب كأكل الزبيب ، (الكلب يغالى فى التمسّح بتيلتيل ويرشقه بقبلات حارة .

هـو : رشادكْ ، أحسنت أحسنت ، وهـذا يكفى ، فاغرب الآن عن وجهى .

ميتيـل : كلا كلا ، أريده أن يبقى ، انى أخاف من كل شىء فى غيبته .

(يثب الكلب الى ميتيل حتى يكاد يوقعها ويفيض حماسة ولهفة وهو يربت عليها) .

الكلب : نعم الفتاة الطيبة القلب ، ما أجملها ! ما أطيبها ، ما أجملها وأرقها ، ينبغى أن أقبلك مرة وأخرى .

الهرة : يا له من غرّ مأفون ، لنـدع هـذا لما بعد ، ولا نضع الوقت ، (الى تيلتيل) أدر الماسة .

هـو : أين ينبغى لى أن أقف ؟

الهرة : تحت هـذا الشعاع من القمر ، اذ تحته تحسُن الرؤية ، نعم هكذا ، أدر الماسة برفق .

(تيلتيل يدير الماسة فما يكاد يفعل حتى تدب رعشة فى الغصـون والأوراق

وتنشق جذوع الأشجار التى هى اكثر هرما وضخـــامة لتلفظ سرائرها المكنونة وكل سريرة تطابق شجرتها فى الطبع والهيأة ، فسريرة شجرة الدردار مثلا على هيئة قزم ممسوخ أكـــرش لا ينفك يلهث من فرط بدانته ، وسريرة شجرة الزيزفون مطمئنـــة ذات الف وبشاشة ، وسريرة شجرة الزان أنيقة خفيفة الحـــركة ، وسريرة شـــجرة التابول بيضـــاء البشرة متحفظة قلقـــة ، وسريرة شجرة الصفصاف مدكوكة مشعثة الشعر نواحة ، وسريرة شـــجرة الصنوبر هيفاء ممشوقة القامة ذات تكتم وصـــمت ، وسريرة شجرة السرو ذاتشجن يوحىبجو مأساة ، وسريرة شجرة القسطلذات غرور وحذلقة ، وسريرة شجرة الحور ذات مرح ونزوات وثرثرة ، بعض السرائر تخرج من جذوع الأشجار متثاقلة مجمدة الأوصـــال فتتمطى كأنما تنفلت من قيـــد أو كرى طال دهورا ، وبعضها يخرج قفـــزا فى نشاط ويقظة وعجلة ، وتلزم كل سريرة ما أمكنها جوار الشجرة التى ولدتها) ٠

شجرةالحور: (وهى أول من ينطلق وتصرخ بصـــوت عال)
جاءنا أناس ، جاءنا أناس فى سنّ الصبا ، سيتاحلنا أخيرا أن نتكلم ، قد انتهى عهد الصمت ، انتهى، من أين أتيا ؟ ما شأنهما ؟ منْ هُما (تتقدم شجرة الزيزفون على مهل وهى تدخن غليونها بهدوء) أتعرفينهما أنت يا شجرة الزيزفون ؟

شجرة الزيزفون : لا أذكر أننى رأيتهما من قبل •

شجرة الحور : كيف ؟ رأيتيهما من قبل ولا ريب فأنت تعرفين الناس جميعا فمقامك دائما بجوار بيوتهم •

شجرة الزيزفون : (تتفحص الصبيين) أؤكد لك اننى لا أعرفهما ، فهما لا يزالان صبيين ، اننى لا أعرف الا العشاق الذين يأتون لزيارتى فى ضوء القمر ، السكارى الذين يشربون الجمة تحت غصونى •

شجرة القسطل : (فى أنفة وهى تُحكم فى كبرياء مصطنعة وضع نظارتها الفرد فوق عين لها) ما الذى أرى ؟ انهما من الفقراء ، من الفلاّحين •

شجرة الحور : بعض هذا التعاظم يا ذات الصون والعفاف ، هذا دأبك مذ ترفعت الا عن سكنى الشوارع الفسيحة فى العواصم •

الصفصاف : (تتقدم وهى نوّاحة ، فى قدميها خفّان من خشب) يا الهى ، يا الهى ، لقد عاد الانسان مرة أخرى ليقطع رأسى وأوصالى ويحملها حطبا له •

شجرة الحور : اصمتى ، ها هى شجرة السنديان تخرج من قصرها ، انها عليلة هذه الليلة ، ألا ترونها قد شاخت ؟ كم يبلغ عمرها فى ظنكن ؟ تقول شجرة الصنوبر عنها ان عمرها أربعة آلاف سنة ،

ولكنى واثقة أنهـا تغـالى ، انتبهن ، ان شـجرة السنديان ستفضى لنا بخبرها •

(تتقدم شجرة السنديان بهدوء ، لامثيل لهرمها الا فى تهاويل الأساطير والخرافات، على رأسها تاج من النباتات ، وعلى بدنهـا ثوب طويل أخضر مزركش بالأعشاب ، هى عمياء ، شعرها الأشعث متهدل حول وجهها، تعتمد يد لها على عصا معقدة ، ويد أخرى على شجرة سنديان صغيرة تقـود خطاها ، الطائر الأزرق حاطط على كتفها ، وحـين تقترب تصطف بقية الأشجار وتنحنى لهـا تبجيلا واحتراما) •

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها (الى شـجرة السنديان) اسرعى ، اسرعى ، تعالى من هنا ، اعطنى الطائر •

الأشجار : اصمت ، انها شجرة السنديان •

شجرة السنديان : (لتيلتيل) من أنت ؟

هـو : أنا تيلتيل يا سيّدتى ، متى أستطيع أخذ الطائر الأزرق ؟

شجرة السنديان : تيلتيل ابن الحطاب ؟

هـو : نعم سـيّدتى •

شجرة السنديان : قد أصابنا علىَ يد أبيك شرّ كبير ، فقد صرع من أسرتى سـتمائة من أبنـائى ، وأربعمائة وخمسة وسبعين من أعمامى وعمّاتى ، وألفاً ومائتين من

أولادهم ، وثلاثمائة وثمانين من زوجات أبنائى واثنى عشر ألفا من أحفادى .

هـو : لا أعرف هذا يا سيّدتى ، غير أنه لم يصرعهم عمـدا .

شجرة السنديان: ماذا جئت تفعل هنا ؟ ولماذا أطلقت سرائر الأشجار من مكامنها ؟

هـو : عفوا سيّدتى اذا كنت قد أزعجتكن ، هى الهرة التى قالت لى أننى سأعرف منكن أين هو الطائر الأزرق .

شجرة السنديان: نعم ، أعلم هذا ، انت تطلب الطائر الأزرق وهو السرّ الأعظم للأشياء كافة ، وهو سرّ السعادة أيضا ، وبذلك يتاح للانسان حين يملكه أن يشتد فى تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية .

هـو : كلاّ يا سيّدتى ، وانما أطلبه لبنت الساحرة غرباوية فانها جدّ مريضة .

شجرة السنديان: (تومىء اليه آمرة بالصمت) كفى ، مالى لا أسمع الحيوانات ؟ أين هُمْ فان حكايتك تهمّهم كما تهمنا ، وينبغى اذن أن لا يقع على عاتق الأشجار وحدها اتخاذ القرارات الخطيرة التى يتطلبها الموقف ، فلو علم الناس ما نحن مقدمات على فعله

لانتقموا منا بقسوة ، فينبغى اذن أن تكون خطتنا مرسومة باتفاق الجميع ليصح تعهد الجميع بكتمان السرّ والتزام الصمت .

شجرة الصنوبر : (تمد نظرتها وهى تعلو بقية الأشجار) الحيوانات قادمة وراء الأرنب ، هذه هى سريرة الجواد والثور والجاموسة والبقرة والذئب والحمل والديك والعنز والحمار والدبّ ، وكلما ذكرت شجرة الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريرته ثم تجمعت السرائر وجلست بين الأشجار اللهم الا سريرة العنز فانها أخذت تتواثب هنا وهناك والا سريرة الخنزير فانها عمدت الى نبش جذور الأشجار .

شجرة السنديان : هل حضر الجميع ؟

الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها راقدة على بيضها ، والأرنب البرّى بأن وراءه مشوارا ، والغزالة بألم فى قرنيها ، والثعلب بأنه مريض ، وأرسل شهادة بذلك من طبيبه ، أما الأوز فلم تفهم ، والديك الرومىّ انفجر غاضبا .

شجرة السنديان : تخلّف هؤلاء يؤسف له كل الأسف ، ولكن عدد الحاضرين كاف لعقد الاجتماع . يا أخواتى

انتم تعلمون المسألة • هـذا الصبىّ الذى أمامكم يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل طلسم اختلسه من قُدرة الأرض وبذلك ينتزع منـا السرّ الذى حرصـنا على اخفـائه منـذ بدء الخليقـــة • ونحن على علم بالانســان بحيث لا يخامرنا أقلّ شكّ فى المصـير الذى ينتظرنا ، اذا تملك هـذا السرّ • من أجـل ذلك فان كل تردد من جانبنا هـو فى نظرى جرم وحمـاقة ، الساعة خطيرة ، وينبغى القضاء على الصبى قبـل فوات الوقت •

تيلتيل : ماذا تقول ؟

الكلب : (يدور حول شجرة السنديان وهـو مكشّر عن أنيابه) هل ترين أسنانى أيتها العجوز الكسيحة ؟

شجرةالزان : (فى حنق) انه يهين شجرة السنديان •

شجرة السنديان : أهذا هو الكلب ؟ اطردوه ، ينبغى لنا أن لا نصبر على اندساس خائن بيننا •

الهرة : (تهمس الى تيلتيل) أبعده ! هذا سوء تفاهم دعه لى فانى سأعالج الأمر ، ولـكن ينبغى أن تسرع فى اقصاء الكلب •

هـو : (الى الكلب) ألا تنصرف ؟

الكلب : دعنى أمزّق خفىّ هذه الكسحانة وسنضحك مما يحدث لها .

هـو : احترس وانصرف ، انصرف يا قح يا ثقيل الدم .

الكلب : طيّب طيّب ،سأنصرف وسأعود حين تحتاج الىّ.

الهرة : (تهمس الى تيلتيل) من الأحوط أن تقيّده والا عاد لحماقاته ، ان الأشجار تغضب وتكون العواقب وخيمة .

هـو : ماذا أفعل ؟ لقد أضعت سلسلته .

الكلب : (وهو يزمجر يهدد شجرة السنديان) سأعود ، سأعود يا مقطوعة النَفْس يا فريسة الربو ، تبا لكن من أشجار كسيحات فى سن اليأس ، ان الهرّة هى رأس المؤامرة ، سأصفى الحساب معها ذات يوم ، فيم همسك ووسوستك يا خائنة ، يا لئيمة ، (ينبحها) .

الهرة : (لتيلتيل) أرأيت كيف يهين الجميع ؟

هـو : هو حقا لا يطاق ، انه يشوّش علينا فلا نسمع ما يقال ، سيدى اللبلاب ، هل لك أن تقيّده ؟

اللبلاب : (يتقدم بحذر الى (الكلب) هل يَعض ؟

الكلب : (وهو يزمجر) على العكس ، على العكس ، ان الكلب سيقبلك انتظر فسوف ترى ما يحدث لك . اقترب.. اقترب قليلا أيها الوغد بأحابيلك العتيقة .

هو : (يهدده بالعصا) تيلو !

الكلب : (يجثم تحت قدمى تيلتيل ويهز ذيله) ماذا تريد منى أن أفعل يا مولاى الصغير .

هو : ارقد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يقيدك والا ..

الكلب : (يزمجر واللبلاب يقيده) أوصالك خيوط مزقة يا حبل المشنقة ، يا مقود الثور ، يا سلسلة الخنزير ، انظر يا مولاى الصغير ، انه سيلوى ساقى .

هو : جزاء وفاقا فهذا ما كنت تطلب ، اخسأ واهدأ ، فأنت لا تطاق .

الكلب : لا أبالى ، ولكنك مخطىء ، انهم يضمرون لك أسوأ النيات فاحترس يا مولاى الصغير ، ها هو يكمم فمى فلن أستطيع الكلام .

اللبلاب : (وقد كور الكلب بعد شد وثاقه) أين أمضى به ؟ لقد أحكمت وثاقه ولن يفتح فمه .

شجرة السنديان : اربطه بإحكام وراء جذعي وشده الى أضخم جذوري ، وسنتدبر مصيره فيما بعد .

(يستعين البلاب بشجرة الحور ويحملان الكلب ويضعانه وراء جذع شجرة السنديان)

شجرة السنديان : هل فرغتما ؟ حَسَنٌ ، الآن وقد تخلّصنا من هذا الشاهد المقلق ، هذا الخائن ، فلنتشاور فيما يقضي به الحق والعدل في نظرنا ، لا أخفي عليكم ما أحسّ به في أعماقي من اهتياج مُضْنٍ ، فهذه هي أول فرصة يتاح لنا فيها أن نحاكم الانسان ، وأن نشعره بسطوتنا ، أظن ان الانسان بعد كل الذي ذقناه على يديه من الشرور ومن المظالم الفادحة لا يخامره أدنى شكّ في الجزاء الذي يستحقه .

كل الأشجار وكل الحيوانات نعم ، نعم ، هو يعلم الآن علم اليقين ، الى المشنقة ، الى الموت ، لطالما ظلمنا ، وطالما سدر في غلوائه ، لقد نفد صبرنا ، فلنسحقه ونلتهمه ، فورا ، فورا . .

هو : (للهرة) ماذا جرى لهم ؟ انهم غاضبون .

الهرة : لا تنزعج ، انهم غضاب لأن الربيع قد تأخر قدومه دع الأمور لي ، وسأعالجها جميعا .

شجرة السنديان: كان حتما أن يصدر حكمنا باجماع الآراء ، وبقى علينا أن نعرف اذا شئنا تجنّب ثأر الانسان كيف نختار من بين طرائق القتل أحكمها وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلّها دلالة على التهمة اذا ما عثر الناس على جثتى الصبيين فى الغابة .

هو : ما هذا كله ؟ ما هدفهم ؟ لقد بدأت أضيق ذرعا بهم ، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر الأزرق فلتسلمه الىّ .

الثور : (يتقدم اليه) أيسر طرائق الموت وأحكمها أن أطعنه بقرنى فى بطنه ، فهل تريدون أن أنطحه؟

شجرة السنديان: من الذى يتكلم ؟

الهرة : انه الثور .

البقرة : الأفضل لى أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لى فى هذا الموضوع ، وانى منصرفة الى أكل هذا العشب كله فى المراعى التى ترونها فى زرقة القمر ، أن ورائى عملا طويلا يشغلنى .

الجاموسة : وكذلك أنا ، وانى على كل حال أقرّ مقدما كل شىء تفعلونه .

شجرة الزان : انى أقدم أعلى فروعى ليشنق عليها .

اللبلاب : وأكون أنا حبل المشنقة •

شجرةالزان : وأمدكم أنا بألواح للنعوش الأربعة الصغيرة •

شجرةالسرو: وأهيىء أنا لهم قبرهم الأبدى •

شجرةالصفصاف: أسهل الطرائق أن نغرقهم فى أحد الأنهار التى أطل عليها ، دعوهم لى •

شجرة الزيزفون : (وهى تمهد للصلح) رشادكم رشادكم ، أحتم أن نلجأ للعنف ، انهما ما يزالان فى نضارة الصبا ، ونحن نقدر بسهولة أن نغل أيديهما عن احداث الشر بأن نبقيهم أسرى داخل سياج أتولى أنا بنفسى اقامته من ضلوعى •

شجرة السنديان : مَنْ التى تتكلم هكذا ؟ (يدلنى صوتها المعسول انها شجرة الزيزفون) •

شجرة الصنوبر : صدقتِ •

شجرة السنديان : اذن نكبنا كالحيوان باندساس خائن بيننا ، لقد ظفرنا الى اليوم بولاء جميع الأشجار اللهم الا أشجار الفاكهة وهى على كل حال لا تعد فى الحقيقة أشجارا بمعنى الكلمة •

الخنزير : (يدير مقلتين صغيرتين نهمتين) أما أنا فأظن انه ينبغى أولا أن نلتهم البنت الصغيرة فلا بد أن لحمها طرى •

تيلتيل : ماذا يقول هذا الأحمق ؟ انتظر قليلا يا ...

الهرة : لا أدرى ماذا دهاهم ، ان مسلكهم لا يبشّر بخير

شجرة السنديان : سكوت ! المسألة الآن هى أن نعرف من ينال شرف توجيه أول طعنة ومن يزيح عن هامتنا أكبر خطر يتهددنا منذ ولد الانسان .

شجرة الصنوبر : هذا الشرف حق لك فأنت أمّنا وسيّدتنا .

شجرة السنديان : أهذه شجرة الصنوبر التى تتكلم ؟ اننى مع الأسف عجوز طاعنة فى السّن ، عمياء عليلة ، وأصبحت أوصالى من الخدر تأبى أن تطيعنى ، كلاّ ، بل أنتِ يا أختى يا شجرة الصنوبر وأنت دائما مخضرة ، مستقيمة لا تعرف الانحراف ، شهدت عيناك مولد أغلب هذه الأشجار ، أنت أحقّ بدلى بمجد تحريرنا جميعا .

شجرة الصنوبر : شكرا لك يا أمّى المبجلة ، ولكن ما دمت قد نلت أنا شرف اعداد قبر لهذين الصغيرين فانى أخشى اذا وقع اختيارك علىّ أن أثير غيرة زميلاتى ، وأظن اذا تنحينا نحن الاثنتين عن هذا الشرف فان الجديرة بعدنا هى شجرة الزان ، لأنها تفوقنا عراقة ، ثم ان ضربتها أشدّ لأنها أصلبنا عودا .

شجرةالزان : لا يغيب عنكم ان السوس قد نخر أوصالى وأن ضربتى لم تعد مُحكمة ، أما شجرة الدردار وشجرة السرو فلهما سلاح ماضٍ •

شجرة الدردار : ليس أشهى علىّ من نوال هذا الشرف ولكنى أكاد لا أحسن صلب عودى ، وقد قرض فأر هذه الليلة ابهام قدمى •

شجرةالسرو: أما أنا فعلى استعداد ، ولكنى على غرار أختى شجرة الصنوبر اذا فاتنى شرف اعداد القبر فانى سأحظى على الأقلّ بميزة الانفراد بذرف الدموع على هذا القبر وليس من العدل أن أجمع بين وسامين • واسألا شجرة الحور •

شجرةالحور : أنا ؟ هل اتجه ذهنكما الىّ ؟ ولكن خشبى طرىّ شأن لحم الأطفال ، ثم انى لا أدرى ماذا دهانى، انى أرتجف من الحمّى ، انظروا الى أوراقى ، لا بُد أن البرداء أصابتنى اليوم عند الفجر •

شجرة السنديان : (تنفجر غاضبة) أنت ترهبين الانسان حتى هذين الصبيين الغريرين ، وكلاهما مضيّع أعزل من السلاح ، انهما ينفخان فى قلبك بهذا الرعب الخفىّ الذى طالما طوّقنا بما نحن فيه من ذُلّ ورقّ ، انى أرفض هذا الكلام ، كفى ،

ما دام الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هى فرصة العمـر فسأمضى أنا وحـدى ، أنا العجوز الكسيحة المرتعشة العميـاء للاقتصاص من عدوّنا الأزلى • أين هو ؟

(تتهادى بحذر على عصاها وتتقدم نحو تيلتيل) •

هـو : (يستلّ السكين من جيبه) منى وحدى تريد أن تقتص هذه العجوز أمّ النبوت الضخم •

(تند من بقية الأشجار صرخـــة فزع لرؤية السكين ، هى فى يد الانسان سلاح يحارون فى سره ، بتار لا يقاوم ، فيتوسطن بين الاثنين ويمسكن شجرة السنديان) •

الأشجار : السكين ! احترسى ، السكين •

شجرة السنديان : (وهى تدافعهن) أتركننى ، فما الجـدوى ، ان نجوتُ من السكين فلن أنجو من البلطة ، مَنْ التى تمسك بى ؟ أأنتن جميعا هنا ؟ ماذا ؟ أهـذا اتحاد منكن على نية واحدة • (تقـذف بعصاها) اذن لتكن مشيئتكن ، والعـارُ لنـا جميعـا ، لن ينقذنا بعد الا الحيوان •

الثــور : نعم هو هذا ، أنا لهما ، فبنطحة واحدة من قرنى (تعمد البقرة والجاموسة الى شدّه من ذيله) •

البقــرة والجاموسة : لمـاذا تحشر نفسك ، اياك والحماقة ، هذه مسألة وخيمة العواقب سندفع نحن غُـرمها ، دعها اذن للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها .

الثــور : كلا كلا بل شأنى أنا ، اصبرا فتريا ، ولكن اذا لم تمسكا بى فقد تقع نكبة .

تيلتيل : (الى ميتيل وقـد انبعثت منهـا صرخـة حـادة) اختبئى ورائى ، لا خوف وهذه السكين فى يدى .

الديك : شجاعة هذا الصبى يا لها من شجاعة ..

هــو : هل قرّ قراركم ؟ الاقتصاص منى أنا ؟

الحمــار : أكيدٌ يا بنىّ ، كيف تطلّب فهمك للحقيقة مثل هذا الوقت الطويل .

الخنزير : لك أن تصلّى ، فافعلْ ، فقد حانت منيتك ، ولكن لا تحجب عنا صبيّتنا الصغـيرة ، أريد أن أمتـع عينى بالنظر اليها فانها هى أوّل من سألْتَـهم .

تيلتيل : وهل أنا أجرمتُ فى حقكم ؟

الشــاة : لا سمح الله .. ما الاجرام فى أنك أكلت وليدى وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة ، وعمّتى ، وأبى وأمى ، صبرا صـبرا ، حـين يُطرح بك أرضا سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا .

الحمــار : وأن لى ظلفا حادًا قوى الشكيمة .

الحصــان : (يفحص الأرض بقوائمــه مزهــوًا) ستـرى ما سترى ، قـل لى ، أيهمـا أحبّ اليـك ؟ أن أنهشك بأسنانى أم أبططك بحـوافرى (يتقـدم بخيلاء نحو تيلتيل فيتصـدى له ويشهـر السكين فى وجهــه فيصاب الحصان فجـأة بالذعر ويولى الادبار وينطلق كالسهم) يا للداهية ، ليس هذا بعدل ، ليس هذا من أصول اللعب ، أن يدافـع عن نفسه ..

الديك : (وقـد عجز عن كتمان اعجـابه) لا شـكّ انه صبىّ جسور .

الخنزير : (للـدب والذئب) فلنهجـم عليهمـا جميعـا وسأسـندكما من خلفٍ سـنطرحهما أرضـا ، ونقتسم الصبيّة حين تقع .

الذئب : شاغِلْهما من أمام على حـين أقـوم أنا بحركة التفاف (ويدور حتى يجىء خلف تيلتيل ويهجم على ظهره ويكاد يطرحه أرضا) .

هــو : يا خائن ! (ينهض معتمـدا على ركبـة واحـدة ملوّحا بالسكين ، حاميا أختـه قـدر طاقته وهى تولول من الفزع وحين يتبيّن للأشجار والحيوان

انه يوشك أن يقع على الأرض تقترب جميعها منه تحاول كل منها أن تصيبه بضربة ، يخيّم الظلام فجأة ، تيلتيل يستنجد باضطراب) النجدة النجدة تيلو ، تيلو ، تيلو ، أين الهرّة ؟ تيلو ، تيلو ، تيلو • اسرع اليّ انت والهرّة •

الهرة : لا أستطيع فقد التوت قومى •

هـو : (يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده) النجدة النجدة ، لقد خارت قواى ، انهم أكثر منى عددا : الدبّ والخنزير والذئب والحمار وشجرة الصنوبر وشجرة الزان •

(يجرر تيلو حباله المتقطعة بعد أن وثب من وراء جذع شجرة السنديان ويشق طريقه مزاحما الشجر والحيوان حتى يلقى بنفسه أمام تيلتيل ويدافع عنه بضراوة)•

الكلب : (وهو ينهش بقوة يمينا ويسارا) لبيك لبيك يا مولاى الصغير لا تخف ، ان فكى جبّار ، خُذْ ، هذه لك أيها الدب ، فى عجيزتك الضخمة ، أين من يريد منكم مثلها ؟ وهذه للخنزير وهذه للحصان ، وهذه لذيل الثور ، تمام تمام ، هأنذا قد مزّقت سروال شجرة الحور وازار شجرة السنديان أما شجرة القسطل فقد هربت ، أف أفْ ، الدنيا حرّ ••

هـو : (متضعضعا) خارت قوتى منـذ ناولتنى شـجرة السرو ضربة شديدة على نافوخى •

الكلب : انهـا ضربة من شـجرة السرو وقـد كسرتْ أيضا قدمى •

هـو : ها هم يعودون للهجوم ، كلهم معـا ، قـد جاء دور الذئب هذه المرة •

الكلب : انتظر ، سترى كيف أعالجه بهجومى عليه •

الذئب : أيها الغبى ، بيننا أخوّة فأنت من سلالتنا ، أنسيت أن أهله أبوا تربية صغارك فأغرقوها •

الكلب : وحسنا فعلوا فقد كانت تشبهك •

كل الأشجار وكل الحيوانات : أيها العاقّ لجنسك ، أيها الخائن والغرّ الأبله، انفض يدك منه ، ألا ترى أن الموت محيق به ، انضمّ الينا •

الكلب : (فى نشـوة من الحبّ والاخلاص) كلا كلا ، سأقف وحيدا ضدكم جميعا كلا كلا ، سأظل وفيا لمن ينتمى لهم مولاى ، انهم أفضل منكم وأجـلّ قدرا ، (لتيلتيل) احترس ، هذا هو الدبّ ، خذ بالك من الثور ، سأثب الى حَلْقـه ، أىْ أىْ ، هذه رفسة من حافر ، لقد هشّم الحمار سنـين من فكىّ •

هــو : هدّني الاعياء ، تيلو ، أيْ أيْ ، هذه ضربة من شجرة الدردار ، انظر الى يدى يسيل منها الدم ، انه الذئب أو الخنزير .

الكلب : سلامتك يا مولاى الصغير ، دعنى أقبلك ، هـذه هى لعقة طيبة من لسانى ستريحك ، قف ورائى ولا تتحوّل، فلن يجرأ أحد منهم على مهاجمتك.. بل . نعم . نعم سيجرأون ، فهاهم قـد عادوا . الخطر كبير هذه المرة فلنصمد لهم ..

هــو : (يتهـاوى الى الأرض) لم تبق لى قـدرة على المقاومة .

الكلب : أصدقاؤنا قادمون ، تنبئنى بهم أذنى وأنفى .

هــو : مِن أين ؟ ومَنْ يكون القادم ؟

الكلب : من هناك ، انها بسمة النـور ، لقـد اهتـدت الى مكاننا ، قد نجونا يا مولاى ، يا مليكى الصغير ، قبّلنى ، نجونا ، نجونا ، انظر الى أعدائنا ، انهم يتوجسون شرّا ويتفرقون مرتعبين .

هــو : يا بسمة النور ، يا بسمة النور ، اقدمى واسرعى، لقد ثارت ضـدنا الأشـجار والحيـوانات وتألبت علينـا .

(تدخل بسمة النور وكلما تقدمت يتوالى اشراق الفجر على الغابة حتى يعمها الضياء) .

بسمة النور : ما الخبر وماذا جرى ، كيف غلبك الضلال يا مسكين • أدر الماسة فانها ستعيدهم الى عالم الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها •

(يدير تيلتيل الماسة فتهرع كل سريرة الى جذع شجرتها وتدخله فينطبق عليها وتختفى أيضا سرائر الحيوان ويرى من بعيد بقرة وشاة ترعيان العشب فى سلام الخ الخ • وتستعيد الغابة براءتها) •

هـو : (يتلفت حوله من فرط دهشته) أين هم ، ماذا كان قد جرى لهم ؟ هل كانوا جميعا قد أصيبوا بالجنون ؟

بسمة النور : كلا ، هذه هى حقيقتهم دائما ، ولكننا لا نعلمها لأننا لا نراها ، وقد حذرتك من قبل من خطر ايقاظها فى غيبتى •

هـو : على كل حال لولا الكلب ، ولولا أن كان عندى سكين •• لم أكن أتصوّر من قبل انهم على مثل هذه الشراسة •

بسمة النور : ها أنت ذا ترى أن الانسان يقف وحيدا ضد الجميع فى هذه الدنيا •

الكلب : (لتيلتيل) عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير يا مولاى •

تيلتيل : مسألة بسيطـة ، أما عن ميتيل فقـد عجزوا عن لمسها ، ولكن انت يا عزيزى تيلو ، حدّثنى عن نفسـك ، قـد سـال الدم على فكك وانكسرت قـدمك .

الكلب : اصابة هيّنة لا تستحق الذكر ، من غـد سيلتئم الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حاميـة هذه المعركة !

الهرة : (خارجة من غيل وهى تعرج) معركة حاميـة ولا ريب ، فقد طعننى العجل بقرنه فى بطنى ، لا ترى العين أثر الطعنة ولكنها تؤلمنى ، أشـدّ الألم ، وشجرة السنديان كسرت قدمى ..

الكلب : أحبّ أن أعرف أى قدمٍ هى ؟

ميتيـل : (تربّت على الهـرة) تيليت يا مسكينة ، أحقـا ما تقولين ؟ اذن أين كنتِ فانى لم ألمحك .

الهرة : (منافقة) أميمتى ، قد جرحت من فورى حـين هـاجمنى الخنزير القـذر الذى أراد التهامـك فناولتنى حينئذ شجرة السنديان ضربة دوّختنى .

الكلب : (وهو يهمس بالكلام من بين أسـنانه المطبقـة) انت ! فليكن فى علمك انه سـيكون بينى وبينك

حساب ، ولن يفيدك الانتظار شيئا ، فجزاؤك لن يتغيّر •

ميتيـل : (للكلب) دعها فى حالها يا لعين •

(يخرج الجميع) •

« ســـتار »

الفصل الرابع

المنظر السادس ـ أمام الستار

(يدخل تيلتيل وبسمة النور والكلب والهرة والرغيف والنار وقمح السكر والماء واللبن) .

بسمة النور : تلقيت رسالة عاجلة من الجنية غرباوية تخبرنى فيها أن الطائر الأزرق موجود هنا فى أغلب الاحتمال .

تيلتيل : فى أى مكان هنا ؟

بسمة النور : هنا ، فى المقبرة التى وراء هذا الجدار ، يبدو أن أحد الموتى فى هذه المقبرة يخفيه فى قبره ، يبقى علينا أن نعرف أيّهم هو ، لذلك ينبغى المرور بالموتى واحدا واحدا .

هو : واحدا واحدا ؟ وكيف نفعل ؟

بسمة النور : المسألة بسيطة ، ننتظر منتصف الليل ، لئلا نفرط فى ازعاجهم ، ثم تدير أنت الماسة فاذا بهم يخرجون من الأرض ، وأما الذين لا يخرجون فسنطلّ عليهم فى قبورهم .

هـو : ألن يحنقهم عملنا هـذا ؟

بسمة النور : لن يحنقهم ، بل لن يتبينوا أن خروجهم بارادتنا، حقا انهم لا يحبون أن يقلقهم أحد ، ولكن من عادتهـم على كل حال أن يخرجـوا فى منتصف الليل فلا ازعاجَ لهم •

هـو : لماذا شحب لون الرغيف وقمـح السكر واللبن ولماذا خرس لسانهم ؟

اللبن : (وهو يترنح) أحسّ أننى سأصاب بالخثورة •

بسمة النور : (تهمس لتيلتيل) لا تشغل بالك بهمومهم ، فما بهم الا الخوف من الموتى •

النـار : (تطوف بخطى لاهية) أما أنا فلست خائفة ، فقد ألفتُ أن أحرقهـم ، كنت أحرقهـم جميعا فى المـاضى فكانت لى متعة لا أجدها أيامنا هذه •

هـو : ولمـاذا يرتجف تيلو ؟ هل هو خائف أيضا ؟

الكلب : (وأسـنانه تصطك) أنا ؟ اننى لا أرتعش ، أنا لا أخـاف أبدا ، ولـكن ان تركتم هـذا المكان فسأتركه معكم •

هـو : وما للهرة لا تنبس بكلمة •

الكلب : (فى غموض) ليس علمى علمكم •

هـو : (لبسمة النور) هل ستأتين معنا ؟

بسمة النور : كلا ، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع الأشياء والحيوان ، لم يأت وقتى بعد ، فربة النور غير قادرة للآن أن تنفذ الى دور الموتى ، سأتركك وحدك مع ميتيل •

هـو : هل يمكن اذن لتيلو أن يبقى معنا ؟

الكلب : نعم ، نعم • سأبقى هنا ، أحبّ أن أبقى مع مولاى الصغير •

بسمة النور : هذا مستحيل ، ان أوامر الجنية صريحة ، ومع ذلك فليس هناك شىء يخشى منه عليكما •

الكلب : طيب طيب ، ما باليد حيلة ، اذا وجدتهم أشرار يا مولاى الصغير فما عليك الا أن تفعل هكذا (يصفّر) وسترى ، سأسعفك كماأسعفتك فى الغابة (ينبح وا وا وا) •

بسمة النور : هيّا بنا ، وداعا يا صغيرىّ العزيزين ، لن أكون بعيدة عنكما ، (تعانق الصبيين) ان الذين يحبوننى والذين أحبهم سيجدوننى دائما (للأشياء والحيوان) أما أنتم فمن هنا •

(تخرج مع الأشياء والحيوان ويبقى الصبيان وحدهما وسط المسرح فتنفتح الستار على المنظر السابع) •

المنظر السابع ـ المقبرة

(بالليل في نور القمر ، مقبرة ريفيـــة ، قبور عديدة ، ربى مخضرة ، صـــلبان من الخشب ، كسوة مقابر من الرخام الخ الخ)
(تيلتيل وميتيل واقفان بالقرب من نصب على هيئة عمود مستقيم) .

هـي : انى خائفة .

هـو : (باطمئنان مزعزع) أما أنا فلا أخاف أبدا .

هـي : هل الموتى أشرار ؟ قل لى ؟

هـو : كلا ، كيف يكونون أشرارا وهم غير أحياء ؟

هـي : هل رأيت من قبل واحدا منهم ؟

هـو : نعم ، مرة واحدة ، منذ زمن بعيد ، أيام أن كنت صغيرا جدا .

هـي : كيف هو ؟ قل لى ..

هـو : شخص كله بياض ، هادىء جدا ، بارد جدا ، ولا يتكلم .

هـي : هل سنراهم ؟ قل لى ..

هـو : ولا ريب ، فهذا هو ما وعدتنا به بسمة النور .

هـي : أين مكانهم هؤلاء الموتى ؟

هـو : هنا تحت العشب أو تحت هذه الأحجار الثقيلة .

هي : أهذا هو مكانهم على مدار العام ؟

هو : نعم .

هي : (مشيرة الى الأحجار فوق المقابر) أهذه أبواب بيوتهم ؟

هو : نعم .

هي : أيكون خروجهم حين يرقّ الهواء ؟

هو : انهم غير قادرين على الخروج الا بالليل ..

هي : ولماذا ؟

هو : لأنهم لا يرتدون الا القمصان .

هي : وهل يخرجون أيضا فى المطر ؟

هو : اذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم .

هي : هل بيوتهم جميلة ؟ قلْ لى ..

هو : يقولون انها ضيقة جدا .

هي : هل معهم أولاد صغار ؟

هو : طبعا ، معهم كل من يموت .

هي : وما هو غذاؤهم ؟

هو : انهم يأكلون جذوع الأشجار .

هي : وهل نتراهم ؟

هو : لا ريب ، فان ادارة المأساة ستجعل كل شيء ينكشف لعيوننا .

هي : وماذا سيقولون ؟

هو : لن يقولوا شيئا لأنهم لا يتكلمون .

هي : ولماذا لا يتكلمون ؟

هو : لأنه ليس لديهم شيء يقال .

هي : ولماذا ليس لديهم شيء يقال ؟

هو : وجعت لي دماغي (فترة صمت) .

هي : متى تدير الماسة ؟

هو : بسمة النور أوصتنا بانتظار منتصف الليل . هذه ساعة لا يزعجهم الخروج فيها الا قليلا .

هي : ولماذا يقلّ انزعاجهم عند الخروج في هذه الساعة ؟

هو : لأنها ساعة الخروج لتنسم الهواء .

هي : هل حلّ نصف الليل ؟

هو : ألا ترين ساعة الكنيسة ؟

هي : نعم ، بل أرى العقرب الصغير .

هو : اذن ترين انها على وشك أن تدق اثنتي عشرة مرة ، ها هي تدق ، أسمعت ؟

(تسمع الدقات الاثنتا عشرة) .

هي : أريد أن أعود .

هــو : لم تحن العودة بعد ، وسأدير الماسة ٠

هي : كلا كلا ، لا تفعل ، أريد أن أعود ، انني خائفة يا أخي ٠ انى مرتعبة جدا ٠

هــو : ولكن ما من خطر علينا ٠

هي : لا أريد أن أرى الموتى ، لا أريد أن أراهم ٠

هــو : لك ما تريدين ، اقفلي عينيك فلا ترينهم ٠

هي : تتشبث بثيابه) تيلتيل ، لا أستطيع ، مستحيل ، انهم سيخرجون من تحت الأرض ٠

هــو : لا ترتجفي هكذا ، انهم لن يخرجوا الا لبرهة وجيزة ٠

هي : ولكنك أنت أيضا ترتجف ٠ هل سيكون منظرهم مرعبا ؟

هــو : أزف الوقت ، فقد أصبحنا في منتصف الليل (يدير تيلتيل الماسة ، لحظة مرعبة من الصمت والهمود ثم يحدث ببطء ترنح الصلبان وانشقاق الأرض في الربوة المخضرة وارتفاع الحجارة عن القبور) ٠

هي : (وهي تحتمي بحضن أخيها) انهم يخرجون ، ها هم أمامنا ٠

(حينئذ ينبعث شيئا فشيئا من القبور المفتوحة لفيف زهور نابتة ، هى أول الأمر رقيقة متهيبة ، انها كسحابة من البخار ، ثم تتحول الى بياض كوشاح البكر ، ويزداد درجة بعد درجة التفافهـا وعلوها وفيضها وبهاؤها وتجلل شيئا فشيئا وبسلطان لا يقاوم كل الأشياء فتحيل المقبرة الى حديقة ملائكية توحى بالطهارة ، ثم لا يلبث الفجر أن يزف اليها أول ضيائه فيتلألأ الندى ، تتفتـح الأشجار والأزهار ، يوسـوس النسيم بين أوراق الغصون ، يطن النحـل ، تستيقظ الطيور فتملأ ببواكير نشوتها أرجاء الكون بأناشيد فرحها بالشمس والحياة ، تيلتيل وميتيل تتملكهما الدهشة والاعجاب ، يده تمسك يدها ، وينقلان الخطى بين الزهور بحثا عن آثار القبور) .

هـى : (وهى تبحث فى العشب) أين هم هؤلاء الموتى ؟

هـو : (يبحث مثلها) ليس هناك موتى .

« ستار »

المنظر الثامن
أمام ستار يمثل سحبا جميلة

(يدخل تيلتيل وميتيل وبسمة النــور والكلب والهرة والرغيف والنار وقمع السكر والمــاء واللبن) .

بسمة النور : في اعتقادي أن يدنا ستقع هـذه المرة على الطائر الأزرق وكان ينبغي أن أدرك هـذا منذ أول مرحلة في رحلتنا ولكن لم يحدث الا في هـذا الصباح حين جدد الفجر قواي أن أشرق هـذا الادراك على ذهني اشراق شعاع من السماء ، نحن الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث يجتمع في حراسة القدر كل ما يعرفه الانسان من شخوص البهجة والهناء .

تيلتيل : وهل هناك كثير منهم ، أيكون لنا منهم نصيب أبينهم صغار مثلنا أيضا ؟

بسمة النور : فيهم الكبير والصغير ، والجلف والرقيق ، فيهم من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل لطفا ، أما أسوأهم طبعا فقد سبق طردهم من هذا الفردوس فوجدوا ملجأ لهم في ديار شخوص البؤس اذ ينبغي أن لا يغيب عنكم ان شخوص

البؤس يقيمون فى مسكن مجاور نافذ على فردوس الهناء ، لا يفصل بينهما الا حاجز كأنه البخار أو كأنه ستار خفيف ينزاح كلما هبت عليه رياح من علياء العدالة أو من قاع الأبد ، يحسن بنا أن نعمل بنظام وأن نتخذ بعض تدابير الحيطة ، فشخوص الهناء هم فى العادة خيّرون الا أن منهم من هو أشدّ من شخوص البؤس خطرا وخداعا

الرغيف : عندى فكرة ، ما دام شخوص الهناء لهم مثل هذا الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن نبقى جميعا عند الباب حتى نحمى الصبيين بسواعدنا اذا اضطرا للفرار بعد دخولهما ؟

الكلب : كلا كلا ، أريد أن أكون مع مولاى ومولاتى أينما يذهبان فليبق بالباب كل من يرتجف قلبه من الرعب ، فليس لنا حاجة اليه (ينظر الى الرغيف) ولا الى الجبناء (ينظر الى الهرة) ولا الى الخائنين •

النار : أما أنا فذاهبة معهما ، يقال ان فى غشيان هذا الفردوس متعة كبيرة وأن أهلها لا ينقطعون عن الرقص •

الرغيف : وعن الأكل أيضا ؟

الماء : (تتنهد) لم يدخل حياتي قط هناء ولو صغير وأود أن أعرفه اليوم .

بسمة النور : اعقدوا ألسنتكم ، لم يسألكم أحدٌ رأيكم ، اليكم قراري ، الكلب والرغيف وقمع السكر يصحبون الصبيين ، والماء لا تدخل لأنها شديدة البرودة ، ولا النار لأنها مفرطة في الاضطراب ، وأناشد اللبن أن يلزم الباب لأنه سريع التأثر ، أما الهرة فهي حرّة .

الكلب : انها خائفة .

الهرة : اذن سأنصرف فأسلم في طريقي على بعض شخوص البؤس فبيني وبينهم صداقة قديمة ، فهم يسكنون بجوار شخوص الهناء .

هو : وأنتِ يا بسمة النور ، ألا تأتين معنا ؟

بسمة النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على شخوص الهناء فان أكثرهم لا يحتملونني ، ولكن لديّ الوشاح الغليظ الذي أتغطى به اذا زرت السعداء ، (تفرد وشاحا كبيرا تلفّه حولها باحكام) ينبغي أن لا يزعجهم شعاع من نوري ، اذ أن من شخوص الهناء من يعيش في وجل محروما من السعادة أما اذا دخلت هكذا فلن يخشاني أحد حتى أقلهم جمالا وأقلهم لطفا .

(ينفتح الستار على المنظر التاسع) .

المنظر التاسع

فردوس الحياة الدنيــا

(ينفتح الستار عن ردهة مقامة فى مدخل الفردوس . ترسمها أعمدة عالية من المرمر، تتدلى بينها أستار من المخمل الثقيل الأرجوانى، تعقدها حبال ذهبية ، بحيث تحجب غيابة المنظر، طراز البناء يوحى بذروة ما بلغه يوما عصر النهضة فى البندقية والأراضى الواطئة من استغراق فى الملذات الحسـية والترف كما تشهد به لوحات الرســام فيرونيزى وروبانز ، أكاليل وتمائم وجدائل وزهريات وتماثيل وزينة ذهبية منثورة بسخاء ، فى وسط الردهــة مائدة ثقيلة فخمة من حجر الشب المزخرف بالفسيفساء ، تزدحم عليها شمعدانات وأكواب من البللور وآنيـة من الذهب والفضة ، تفيض بأطعمــة فاخرة ، يجلس حــول المــائدة شخوص الترف فى الأرض وهم يأكلون ويشربون ويندفعون فى الهتاف والغناء ، فيهم المترنح وهو وسنان ، وفيهــم المستغرق فى النوم ، وبين أكداس من لحــم الوعل وفاكهــة مهولة انقلبت الأباريق والأكواب على المائدة ، كل واحد منهم مفرط فى البــدانة ، محتقن الوجه ، فى ملابس من القطيفــة ؛ على الرأس تاج محلى بالذهب واللؤلؤ والأحجــار الكريمة ، قيان فاتنات لا تنفك عن السعى بأطبــاق مزينة وشراب مشعشع ، وموسيقى تنم عن

ذوق فج ماجن يحب الصخب يغلب فيهنا عزف الآلات النحاسية . المسرح غارق فى ضوء أحمر ثقيل .

تيلتيل وميتيل والرغيف وقمح السكر يغلبهم شيء من الدهشة والانبهار أول الأمر ثم يتحلقون على اليمين فى مقدمة المسرح حول بسمة النور، وتمضى الهرة دون أن تتبس بكلمة الى غيابة المسرح ، من الناحية اليمنى أيضا ـ وترفع ستارة قاتمة اللون وتختفى) .

هـو : من هم هؤلاء السادة الضخام الذين يلهون ويلتهمون كل هذه الأطعمة الشهية ؟

بسمة النور : انهم شخوص الترف فى الأرض ، ممن تراهم العيون ، ومن الجائز ـ وان كان الاحتمال ضئيلا ـ أن يكون الطائر الأزرق قد شرد فتريث عندهم قليلا ، لذلك لا تتعجل ادارة الماسة ، وعلينا الآن دفعا لوهم التقصير أن نستكشف هذا الجانب من الردهة .

هـو : وهل نستطيع الاقتراب منهم ؟

بسمة النور : نعم ولا ريب ، فهم غير أشرار وان كان فيهم من هو جلف ، ومن هو سيء الأدب .

هـى : عندهم فطائر لذيذة .

الكلب : ولحم صيد طرىّ ومقدّد ، وأزناد خراف وأكباد عجول ، هذا أطيب طعام في الدنيا ، لا يفضله طعام آخر ، فلا شيء يفضل أو يماثل كبد العجل .

الرغيف : الآ الخبز المصنوع من خالص دقيق القمح ، عندهم أفخر صنف منه ما أجمل أرغفتهم ! ما أجمل أرغفتهم ، انها أضخم منى .

قمع السكر : عفوا عفوا ومائة مرة عفوا ! اسمحوا لى ، اسمحوا .. لا أريد أن أجرح شعور أحد ولكن أنسيتم أن الحلوى هى مجد هذه المائدة فلها من الرواء البديع ما يفوق ـ ان جاز لى هذا التعبير ـ كل شيء لا فى هذه الردهة وحدها بل ربما فى أى مكان آخر .

تسو : يا لسمة الرضى والسعادة البادية عليكم ، لا يكفّ لهم هتاف وضحك وغناء ، أظن أنهم قد رأونا .

(ويقوم فعلا من المائدة نفر من شخوص الترف ويخطون بصعوبة مسندين أكراشهم بالأكف ، ويتقدمون نحو تيلتيل وصحبته)

بسمة النور : (لتيلتيل) لا تخش شيئا ، انهم أهل حفاوة وكرم ضيافة وأظن أنهم سيدعونك للعشاء معهم فلا تقبل دعوة ولا طعاما ، لئلا تنسى مُهمّتك .

هــو : ماذا ؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة؟ ان فطائرهم تبدو شهية طازجة مُسكرة ، محشوة بالفاكهة ، عامرة بالقشدة .

بسمة النور : ان عواقبها وخيمة فهى ستحطم ارادتك وينبغى أن تعرف كيف تضحى ببعض الأشـياء فى سبيل أداء الواجب . فارفض بأدب ، ولـكن بحـزم ، ها هم قادمون .

(زعيم الترف يمد يديه الى تيلتيل) .

زعيم الترف : مرحبا بك يا تيلتيل ، أهلا وسهلا .

هــو : (بدهشة) أتعرفنى اذن ؟ مَنْ أنت ؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف ، أنا الثراء ، اننى قادم نيابة عن اخوتى أدعوك أنت وصحبك لتشريف مأدبتنا التي لا انقضاء لها ، وستجد نفسك بين من هم أفضـل وأصـدق شـخوص الترف فى هـذه الأرض ، واسمح لى أن أقدم لك أهمهم ، هذا هو صهرى ترف الحيازة والتملك ، وبطنه على هيئة الكمثرى، وهـذا هو ترف الغرور والاكتفـاء بالنفس ، انه يزهو بأوداجه المنتفخة ، وهـذا هو ترف الشرب حـين لا عطش ، وهـذا هو ترف الأكل حـين لا جـوع وهمـا توأمان وأقدامهما من عيـدان

المكرونة ، (يقومان بتحية تيلتيل وهما يترنحان) وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم ، وهو أصم كالصخر ، وهذا هو ترف الاستغناء عن كل فهم ، وهو أعمى كجرذ الجحور ، وهذا هو ترف الترفع عن كل عمل ، وهذا هو ترف الاسترسال فى النوم بعد الشبع منه ، ولهما أيد من لباب الخبز وعيون من مُربّى الخوخ ، وهذا هو ترف الضحك الغليظ ، ان فمه مشقوق حتى الأذنين ، ولا أحد يقاوم عدواه .

(يقوم بتحية تيلتيل وبدنه يرتج ويتلوى من الضحك) .

هنو : (يشير الى ترف آخر منتح جانبا) ومَنْ هذا الذى لا يجرأ على التقدم ويدير لنا ظهره ؟

زعيم الترف : لا تلح فى السؤال ، انه فى خجل ، اذ لا يليق تقديمه للصغار (يمسك يد تيلتيل) ولكن تعال اذن ، سنبدأ المأدبة من جديد ، لقد تكررت عشرين مرة منذ الفجر ، ولسنا فى انتظار أحد غيرك ، هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوتك ، لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعا فهم عديدون ، (يمنح ذراعيه للصبيين) اسمحا لى أن أقودكما الى مقعدىْ الشرف .

هـــو : شكرا سيدى زعيم الترف ، يؤسفنى أشد الأسف اننى غير قادر فى هذه اللحظة أن ألبى دعوتكم ، اننا فى عجلة ، فنحن نبحث عن الطائر الأزرق . فلعلك تعرف صدفة أين هو ؟

زعيم الترف : الطائر الأزرق ؟ انتظر اذن ، نعم . نعم . أتذكر الآن ، لقد سمعت عنه من قبــل ، انه فيما أظن طائر لا يؤكل ، على كل حال انه لم يمثل فوق مائدتنا ، ولكن لا تجهــد نفسك ، فلدينـا أشياء أخرى أفضل منه ، فتعال لتشاركنا حياتنا وتشهد كل ما نفعل .

هـــو : وماذا تفعلون ؟

زعيم الترف : كل فعالنا أن لا نفعل شيئا ، فنحن لا نرتاح ولو دقيقة ، اذ ينبغى أن نأكل وأن نشرب وأن ننام ، وكل هذا يستنفد وقتنا كله .

هـــو : وهل فى ذلك متعة ؟

زعيم الترف : من كل بد ، فليس فى الأرض متعة سواها .

بسمة النور : أهذا هو اعتقادك ؟

زعيم الترف : (يهمس الى تيلتيل مشيرا الى بسمة النور) من تكون هذه الشابة السيئة الأدب ؟

(وأثناء الحوار السابق تحتفى شخوص ثانوية من الترف بالكلب وقمع السكر والرغيف ويقودونهم الى المأدبة الصاخبة وفجأة يلحظ تيلتيل صحبه وقد جلسوا على المائدة فى اخاء مع بقية الضيوف ، يأكلون ويشربون ويترنحون) •

هو : (لبسمة النور) أنظرى ! انهم على المائدة •

بسمة النور : نادهم والا كانت العاقبة وخيمة •

هو : تيلو ! تيلو ! تعال هنا ، تعال هنا حالا ، سامع ؟ وأنت يا قمع السكر ، وأنت يا رغيف من سمح لكما بالابتعاد عنى ، ماذا تفعلان هناك بغير اذن منى •

الرغيف : (وفمه محشو) ألا تستطيع مناداتنا بلهجة أكثر أدبا •

هو : يا للعجب ! منذ متى تعلمت هذه الجرأة علىّ ؟ ماذا دهاك ! وأنت يا تيلو • أهذه هى الطاعة عندك ؟ هيا ، تعال هنا ، اركع اركع وبأسرع مما تفعل •

الكلب : (بصوت واطىء ومن طرف المائدة) أنا حين آكل لا أجيب أحدا ولا أسمع شيئا •

قمع السكر : (بلهجة معسولة) اعذرنا ، اننا لا نستطيع أن

تخذل أصحاب بيت لهم مثل هذا الظرف .

حلمك حلمك ، انهم يضربون لك المثل ، فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار ، سنرغمك بلطف على الجلوس ، هيا يا شخوص الترف ، ساعدوني ، ادفعوه دفعا الى المائدة حتى ينعم بالسعادة رغم أنفه .

(تتقدم شخوص الترف وهي تترنح وتتماسك قدر جهدها وتهلل في فرح وتجذب الصبيين وهما يقاومان ، بينما يلف ترف الضحاك الغليظ ذراعه على خصر بسمة النور)

بسمة النور : (الى تيلتيل) أدر الماسة فقد آن الأوان .

(تيلتيل يستجيب لها ، ما يكاد يدير الماسة حتى يغمر المنظر ضياء لا وصف ولا حد لنقائه ، كأنما تعكس عليه الملائكة لون أجنحتها الوردية ، صاف رقراق ، تنفك وتختفي عن مقدمة المنظر زخارفه الثقيلة وأستاره الصفيقة الأرجوانية ، فتكشف عن حديقة ناعمة كأنها من عالم الخرافة ، تسودها دعة وسكينة ، هي أشبه شيء بصرح أقامته مملكة النبات ، ترتاح العين لانسجام خطوطه وأبعاده ، انها حديقة ثرية بأغصان فتية يترقرق عليها الضياء ، ملتفة ومتشابكة بلا فوضى ، الزهور سكرى بطهارتها ، ومياه صافية تنطق بالجذل وهي تصب وتسيل وتصطفق في جداول

جارية ، كأنما تمد رحاب الهنـاء الى حدود الأفق ، تنهد مائدة العربدة ولا يبقى لهـا اثر ، ستـائر المخمل والحرير وتيجـان شخوص الترف ما تكاد تتلقى اوائل أنفاس هذا الضياء المشعشع الذى يغمر المنظر حتى ترتفع وتتمزق وتتهاوى ، وكذلك الأقنعة الضاحكة الملقـاة تحت أقدام الضيوف وقد عرتهم الدهشة ، وينشقط انتفاخ شخوص الترف تباعا على مرأى العين انشفاط مثانة انفجرت ، يتبادلون النظرات وأجفانهم تطرف من اثر هذا الضياء المجهول الذى تعشى له أبصارهم ، وحينما تتجلى لهم حقيقتهم ويرون أنفسهم شخوصا دميمـة ، رخوة ، زرية تنبعث منهم صيحـات الخجل والوجل ، تتبين الأذن بوضوح من بينها صيحة ترف الضحك الغليظ بسبب علوها على صيحات الآخرين ، وترف الاستغناء عن كل فهم يظل ساكنـا كل السكون ، على حين يضطرب زملاؤه وقد أحسوا بالضياع ، يتلمسـون وسائل الهرب بالاختفاء فى الأركان للتستر بعتمتها فيما يأملون ، ولكن سناء الحديقـة الرائعة لم يترك بهـا أثرا لظل ، فيعمد بعضهم فى يأسهم من النجاة الى اقتحام تدير الستارة الماثلة فى ركن على اليمين ، المنعقدة فوقها سقيفة باب كهف شخوص البؤس ، وكلما هم كل واحـد منهم فى رعبه بازاحة الستارة قليلا انبعث من أغوار الكهف سيل من السباب واللعنات والشتائم ، أما الكلب والرغيف وقمع السكر فقد تخاذلوا وتدلت آذانهم وانضموا الى صحبة الصبيين واختبأوا فى خجل وراءهما) .

تيلتيل : (وهو يرقب فرار شخوص الترف) ما أبشع دمامتهم . الى أين فرارهم ؟

بسمة النور : جُن جنونهم ولا ريب ، انهم يلجأون الى شخوص البؤس وأخشى أن يحتجزوهم عندهم الى الأبد .

هو : (يتلفت حوله مسحورا بما يرى) ما أجملها من حديقة ، ما أجملها من حديقة ، ولكن أين نحن؟

بسمة النور : لم يتبدل مكاننا ، انما التبدل فى نظرة العيون ، نحن الآن نشهد حقيقة الأشياء ، سترى شخوص الهناء التى تتحمل سناء الماسة .

هو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء ، يخيل الىّ أننا فى اعتدال الربيع ، ما الذى أرى ؟ من القادمون علينا من هناك ، لعلّهم سيعنون بأمرنا .

(وتبدأ الحديقة فعلا بالامتلاء بشخوص ملائكية كأنما انفلتت من سبات طويل وتجوس بانسجام خلال الأشجار ، عليها ملابس يشع منها ضوء له أطياف ترتاح العين لتناسقها وبهائها ، تتفتح الزهور فى الحديقة ، ويفتر ثغر الجداول ، ويشرق سناء فجر وليد ، ويتلألأ الندى) .

بسمة النور : ها هى فئة من شخوص الهناء قادمة الينا ، يدفعهم حبّ التطلع ، ولكنهم أهل ظرف وسماحة ، سنعلم منهم الخبر .

هـو : وهل تعرفيتهم ؟

بسمة النور : نعم ، أعرفهم جميعا فانى ألمّ بهـم مرارا دون أن يدركوا من أنا .

هـو : ما أكثرهم ، ما أكثرهم ، انهـم قادمـون من كل صوب .

بسمة النور : كانوا أكثر عددا من قبل ، فقد أضرّ بهم شخوص الترف .

هـو : لا ضير عليهم فقد بقى منهم عدد ليس بالقليل .

بسمة النور : وستری کثیرا غیرهم کلما طاف ضـياء الماسة بالحديقة ، فان شخوص الهناء فى الأرض أكثر مما تظن ، ولكن أغلب الناس لا ينتبه اليهم .

هـو : ها هم صغارهم يتقدمون الينا ، فلنجرِ للقائهم .

بسمة النور : لا تتعب نفسـك ، فكل من يعنينا أمره سـيمرّ من هنـا ولا يتسع وقتنا لمعرفة الآخرين .

(صغار شخوص الهناء تتوثب وتتضاحك بملء الأفواه ، تقدم من مؤخرة الحديقـة وترقص متحلقة حول الصبيين) .

هـو : ما أوسمهم ، ما أوسمهم ، من أين أتوا ؟ ومَن هـم ؟

بسمة النور : انهم شخوص هناء الأطفال .

هـــو : هل لى أن أكلمهم ؟

بسمة النور : لا داعى للكلام فهم لا يعرفون الا الغناء والرقص والضحك ، أما الكلام فلم يتعلموه بعد .

هـــو : أهلا أهلا (الى بسمة النور) أنظرى الى هـــذا الطفـل السمين الضـاحك ما أجمـل خدودهـم وما أبهى ملابسهم . أكلهم أثرياء ؟

بسمة النور : كلا ، هنـا كما فى كل مكان يزيد الفقـراء على الأغنياء .

هـــو : وأين الفقراء بينهم ؟

بسمة النور : لا تتبينهم العين لأن هناء الأطفال ملفوف فى أجمل كساء فى الأرض أو فى السماء .

هـــو : (وهو لا يستقر فى مكانه) أريد أن أرقص معهم .

بسمة النور : هذا مستحيل ، فليس لدينا وقت ، انى أرى أن الطائر الأزرق ليس عندهم ، وهم فوق ذلك فى عجلة ، فأنت تراهم قد أخذوا فى الانصراف . وهم أيضا وقتهم قليل فلا يُضيعونه هدرا ، فأمد الطفولة قصـير .

(تهرع الى الحديقـة فئة من شخوص الهناء أطول من السابقين ، يتعـالى غناؤهم

وهم يهتفون : ها هم قد أتوا ، ها هم قد أتوا ، انهم يروننا ، ثم يرقصون بمرح حول الصبيين وعند نهاية الرقصة يتقدم من هو فى الظن زعيم هـــذه الفئة الصغيرة نحو تيلتيل ويمد له يده) •

الهنـــاء : أهلا بك يا تيلتيل •

هـــو : مرة أخرى أجد من يعرفنى ، (الى بسمة النور) قد بدأت أن أكون معـروفا لدى الجميـع هنـا ، (الى الهناء) مَنْ أنت ؟

الهنـــاء : انت لا تعرفنى ؟ أراهنك أنك لا تعرف أحدا منا هنا •

هـــو : (بلا حرج) فعلا ، لا أعرف أحـدا ، فلا أذكر اننى رأيتك من قبل •

الهنـــاء : (لزملائه) أتسمعون ؟ كنت واثقا انه سـيقول انه لم يرنا ، (تنفجر بقية شخوص الهناء بالضحك) ولكن يا عزيزى تيلتيـل ، أنت لا تعرف أحـدا غيرنا ، نحن دائما من حـولك ، فى صـحبتك ، نأكل ونشرب ونصحو ونتنفس ونعيش •

هـــو : نعم • نعم أنت على حـق ، أدركت الآن صـدق ما تقوله ، فاننى تذكرت ولـكنى أود أن تنبئونى بأسمائكم •

الهنـــاء : أرأيت أنك لا تدرك شيئا ، أنا هناء بيت الأسرة ، بيتك ، وزعيم كل هناء آخر يسكنه .

هـــو : أفي البيت أشكال أخرى من الهناء ؟

(يفج شخوص الهناء بالضحك) .

الهنـــاء : هل سمعتم ؟ يسأل أفي البيت هنـاء آخر ، البيت يا بنيّ مكتظ بأشكال من الهناء حتى تكاد تفيض من سـدود أبوابه ونوافـذه ، ونحن نزحمـه بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير ، ولكن مهما بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا ترانا . أرجـو أن يرجع عقلك لرأسك قليلا من قادم ، والى أن يحدث لك هذا تعالَ صافح أعياننا حتى اذا رجعت لبيتك سهل عليك تبينهم ثم تعرف فى نهـاية يوم سـعيد كيف تشجعهـم بابتسامـة منك وتشكرهم بكلمة طيبة ، لأنهم يبذلون كل جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خفيفة الحمل ، دعنى أقـدم لك نفسى أولا ، خـادمك المطيع : هنـاء التمتـع بالصحة والعافية ، ولعلّ جمالى لا يفوق جمالهـم بريقا ، ولكنى أهمّهم ، أتعرفنى الآن ؟ وها هو هناء التمتع بالهواء الطلق ، انه يكاد يكون شفافا ، وها هو هناء تمتع الولد بمحبته لأبويه ، ينمّ لون

ثوبه الرمادىّ عن حشمته ولا يسلم من حزن طفيف لأن العيون قلما تأبه به ، وهذا هو هناء التمتع بالسماء الزرقاء ، ثوب أزرق بطبيعة الحال، وهذا هو هناء التمتع بالغابة ، وثوبه أخضر بطبيعة الحال أيضا ، ستراهم جميعا اذا جلست الى النافذة، وهذا هو هناء التمتع باشراق الشمس ، له لون الماس ، وهذا هو هناء التمتع بالربيع ، انه فى لون الزمرد وبه طيش .

هو : هل لكم هذا الجمال كل يوم ؟

الهناء : أىْ نعم ،فكل الأيام يوم عيد فى كلّ البيوت ، اذا عرف أهلها كيف يفتحون عيونهم ، ثم اذا حلّ المساء واتاك أصحابى هؤلاء ، دعنى أقدمهم لك ، هذا هو هناء التمتع بالغروب ، وهو أبهى من كل ملوك الأرض ، ثم يتبعه هناء التمتع بطلوع النجوم وثيابه من ذهب كالآلهة الأقدمين ، ثم اذا تكاثرت السحب واتاك صاحبى هذا ، انه هناء التمتع بالمطر وثوبه مطرز باللؤلؤ ، ومعه هناء التمتع بمدفأة الشتاء الذى يسدل على الأيدى المثلجة وشاحه القرمزىّ ، ولكنى لم أحدثك عن أفضلنا جميعا لأنه يكاد يكون أخا شقيقا للنعم الكبرى الصافية التى ستراها قريبا ، وأعنى به هناء

التمتع بفكر طاهر برىء،وهو أكثرنا نقاء ، وها هو هناء آخر ، ولكن ما أكثر من احتاج الى تقديمه اليك ، ولو فعلت لما انتهيت ، فينبغى لى أن أنبىء بمقدمكم النعم الكبرى المشرفة علينا هناك ، في آخر الحديقة ، بالقرب من باب السماء ، فانها لا تعلم بعد أنكم قد أتيتم ، سأبعث اليهم بهناء التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام حافية ، فهو أخفنا حركة (يخاطب الهناء الذى وقع عليه اختياره ، فيتقدم مسرفا فى الترحيب بالحركة والتوثب ــ ويستطرد الهناء قائلا له) هيا ، طر الى حيث أرسلتك •

(يتقدم فى هذه اللحظة هناء آخر ، عار الا من ستر أسود على خاصرته ، يزاحم بقية شخوص الهناء وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة ، ويقترب من تيلتيل وهو يتوثب ، فيعابثه بوضع كفه على الأنف وتلعيب أصابعه ، محاولا صفعه أو ضربه بالقدم ، واذا هم تيلتيل بصده تملص منه) •

هو : (وقد غلبته الدهشة والحنق) من هذا المتوحش ؟

الهناء : أمرى لله ، لا مفر من أن أقدمه لك ، انه هناء العفرتة ، وقد هرب من كهف شخوص البؤس ، لا ندرى أين نحتجزه ، فانه يهرب من كل محبس، بل ان شخوص البؤس ترفض ايواءه •

(يتمادى هناء العفرتة فى معاكسة تيلتيل الذى يحاول عبثا صده عنه ، ثم اذا به ينفجر فجأة بضحكة عالية وينصرف بلا دافع كما أتى) .

هـو : ماذا به ؟ هل أصابه مسّ من الجنون ؟

بسمة النور : لست أدرى ، والظاهر أن حالك يكون كحاله حين تتحامق وتركب رأسك ، ولكن بقى علينا أن نسأل عن الطائر الأزرق فلعلّ زعيم هناء البيت لا يجهل مكانه .

هـو : (يسأل الزعيم) أين الطائر الأزرق ؟

الهناء : صاحبنا لا يعرف أين الطائر الأزرق .

(تضج كل شخوص هناء البيت بالضحك) .

هـو : (فى غضب) نعم ، لا أعرف أين هو ، وليس فى هذا مدعاة للضحك .

(ضحكات أخرى) .

الهناء : حلمك ، لا تغضب ، (ثم الى بقية شخوص الهناء) دعونا الآن نتكلم بجدّ ، انه صادق فى قوله انه لا يعرف أين الطائر الأزرق . وما العجب فى ذلك ؟ انه ليس بأقلّ غفلة عن بقية الناس ، ولكن ها هو هناء التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام

حافية قد نقل النبأ الى النعم الكبرى وها هي ذي تتقدم الينا .

هسو : ما أجملهن ، لماذا لا يضحكن . أهنّ غير سعيدات ؟

بسمة النور : لا يكون الضحك دائما دليلا على فرط السعادة .

قيلتيل : مَنْ هُنّ ؟

الهناء : هي النعمُ الكبرى .

هسو : أتعرف أسماءهن ؟

الهناء : أعرفها بطبيعة الحال ، فلطالما لعبت معهن ، ها هي ذي أولا وفي مقدمة الباقيات ، نعمة القدرة على العدل ، وهي تبتسم كلما رأت انتصارا على ظلم ، وأنا لصغر سني لم أرها تبتسم بعد ، ومن ورائها نعمة طيبة القلب ، هي أكثرهن سعادة وان كانت أكثرهن أسىً ، ونحن لا نحتجزها الا بمشقة عن مضيها لشخوص البؤس الذين تود أن تواسيهم ، وعن اليمين نعمة الراحة في انجاز العمل ، بجانبها نعمة الفكر ، ثم نعمة الفهم ، وهي تبحث دائما عن شقيقها : ترف الاستغناء عن الفهم .

هــو : ولكنى رأيت شـــقيقها ، انه ذهب الى شـخوص البؤس مع شخوص الترف •

الهنـاء : كنت واثقا من ذلك فانه أصبح ضالا أحمق من فرط معاشرته لقرناء السـوء ، فأصيبت طباعـه بالشذوذ ، ولكن حذار من أن تجىء سـيرته على لساننا أمام شقيقته والا مضت تبحث عنـه وفقـدنا بذلك وجود نعمة كبرى بيننا ، وهاهى ذى أيضا واحدة من النعم الكبرى ، انها نعمة رؤية الجمال أينما كان ، انهـا تضفى كل يوم مزيدا من بهـاء أشعتها على الضوء الذى يغمر هذا المكان •

هــو : ومَنْ هى المـاثلة هنـاك ، بعيـدا ، بين السحب الوردية ، لا أراها الا اذا شببت غاية جهدى على أصابع قدمىّ •

الهنـاء : هذه هى نعمة القدرة على الحبّ ، ولكن هيهـات لك أن تتبينها كل التبين فأنت ما زلت صغيرا •

هــو : ومَن هُنّ الواقفات الى الخلف ، يمنعهن التهيب عن التقدم الينا ، ولمـاذا وجوهن محجبة ؟

الهنـاء : هى النعم التى لم يعرفها الانسان بعد •

هــو : وماذا تدبّره الأخريات لنا ، وما لهن قد انشققن صفّين ؟

الهنـــاء : لاستقبال نعمة أخرى قادمة ، لعلّها أكثر النعـم طهارة وصفاء .

هــو : ومَنْ تكون ؟

الهنـــاء : ألم تتبين بعد ؟ فأنعم النظر اليهـا ، وافتح عينيك ليطل منهما قلبك أيضا . هذه النعمة قـد رأتك ، قد رأتك ، انها تجرى نحوك فاتحة لك ذراعيها ، انهـا نعمة الأمومة متمثلة فى أمّك ، وان نعمـة الأمومة ليس كمثلها نعمة أخرى .

(تتزاحم النعم حول نعمة الأمومة وترحب بها ثم تصطف بين يديهـا وتلزم الصمت توقيرا لهـا) .

نعمة الأمومة : تيلتيل وأنت يا ميتيل ، كيف أجدكما هنا ؟ لم أكن أتوقـع لقـاءكما ، اذ كنت أعانى من الوحـدة فى البيت ، فاذا بكما تعرجان الى السماء حيث تتألق بالسرور أرواح كل الأمهـات ، ولـكن لنتبادل العناق والقبلات ، قبلات كثيرة ، قدر ما نستطيع ، ارتميا فى حضنى فليس فى العالم سعادة أكبر من هذه السعادة ، لـماذا لا تبتسم من البشر يا تيلتيل، وأنت كذلك يا ميتيـل ، ألا تتبيّنان حبّ أمكما ، انظـرا الىّ بامعـان ، ألا تريان عينىّ وشـفتى وذراعى .

هــو : نعم ، نعم ، اننى أتبينها ولـكنى لم أكن أدرى ، لك صورة أمنا ولكنك أجمل منها •

نعمة الأمومة : هذا حق لأننى أصبحت لا أتقدم فى الشيخوخة ، وكل يوم يمضى يمنحنى فيضا من القوة والشباب والسعادة ، وكل بسمة منكما ترفع مما مضى لى من عمر يثقل كاهلى سنة بأكملها ، لا يتبين لكما هذا فى البيت ولكن كل شيء هنا متبين على حقيقته •

هــو : ـ تأخذه الدهشة ويتأمل أمّه ويحضنها ويعانقها بدوره ـ ما هـذا الثوب الجميل ، من أى نسيج هو ؟ أهو من حرير أو من فضة أو من لؤلؤ ••

نعمة الأمومة : كلا ، انه من حنوّ النظرات والقبلات واللمسات، فكل قبلة تهبه شعاعا من القمر أو من الشمس •

هــو : هذا عجيب ، فلم أكن أحسب قط أنك على مثل هذا الثراء ، فأين اذن كنت تخفين هـذا الثوب الجميل ، أفى الصوان الذى مفتاحه مع أبى ؟

نعمة الأمومة : كلا ، كنت ألبسه كل يوم ، ولكن العـين لا تراه لأنها لا ترى شيئا اذا كانت بلا بصيرة فكأنها مغمضة ، هذا الثراء لكل أم تحب أولادها ، فقيرة هى أم دميمة أم عجوز ، فان حبّ الأم لأولادها هو من بين النعم الكبرى أكثرها جمالا وبهاء ،

وكل سحابة من الحزن على وجه أم يكفيها لكى تنقشع وتتبدد قبلة واحدة تهبها أو تنالها وتصبح الدموع نجوما تتلألأ في محجريها .

هو : (ينظر اليها في دهشة) نعم ، هذا حق ، فانى أرى نجوما تتلألأ في محجريك ، انهما عيناك كما عرفتهما ولكنهما الآن أكثر بهاء ، وها هى ذى يداك أيضا ، وها هو ذا خاتمك ، بل ها أنذا أرى أثر الحرق الذى أصابها ذات يوم وأنت تشعلين المصباح ، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء بشرتها ، كأنما يفج منها النور . أهى تعينك الآن في العمل كما كانت تفعل سابقتها في البيت ؟

نعمة الامومة : نعم ، فهى يد واحدة لم تتبدل ، أفلم تكن تراها في البيت تتألق بالبياض ويفج منها النور كلما ربتت عليك بحنان ؟

تيلتيل : هذا عجيب يا أمى ، هذا هو صوتك بعينه ، ولكن كلامك هنا أجمل من كلامك في البيت .

نعمة الأمومة : أنسيت كثرة مشاغلى في البيت وزحمة العمل ، ولكن احساس القلب يغنى عن شهادة الأذن والآن وقد أبصرتنى فهل يا ترى ستتبين صورتى هذه اذا عدت للكوخ غدا ورأيتنى في ثيابى المرقة؟

هــو : لا أريد أن أعود ما دمت أنت هنا ، فانى أحبّ أن أكون معك طوال بقائك فى هذا المكان .

نعمة الأمومة : الأمر سيان ، لا فرق بين بقائنا معا هنا وبين بقائنا معا فى البيت ، أنت وأنا ، أنت لم تأت هنا الا لتدرك وتعرف فى أية صورة ينبغى لك أن ترانى حين ترانى فى البيت . أفاهم أنت يا تيلتيل ؟ أنت تحسب أنك الآن فى عالم علوىّ ، ولكن هذا العالم العلوىّ لم يكن ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق والقبلات ، ومعنى الأم لا يقبل التثنية ، فليس لك أم سواى ، لكل ولد أم واحدة لا تتبدل ، هى عنده دائما أجمل الأمهات ولكن ينبغى له أن يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها ، ولكن قل لى كيف فعلت حتى وصلت الى هذا المكان ووجدت طريقا ظلّ الانسان يبحث عنه منذ أن سكن الأرض ؟

هــو : (مشيرا الى بسمة النور) هى التى قادتنى (تتراجع بسمة النور متحشمة) .

نعمة الأمومة : ومن تكون هى ؟

هــو : انها بسمة النور .

نعمة الأمومة : اذن هذه هى صاحبتك التى سمعتُ عنها ، يقولون

انها تحبك كثيرا ، وانها طيبة القلب • ولكن لماذا تتحجب ؟ ألا تسفر عن وجهها أبدا ؟

هـــو : نعم نعم ، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء اذا تجلّت له الحقائق بفضلها •

نعمة الامومة : ألا تدرى صاحبتك اذن أنها هى التى ننتظرها دون أحد ســواها ، (تنادى على بقيــة النعــم) اقدمن يا اخواتى ، أقدمن جميعكن ، هذه هى بسمة النور جاءت أخيرا لتزورنا •

(تزيط النعم وتهلل وهى تقتربـ) •

النعــم : بسمة النور هنا ، بسمة النور هنا •

نعمة الفهم : (تزيح كل أخواتها لتنفرد بمعانقة بسمة النور) لم نكن ندرك أنك بسمة النور ، فأنت اذن هى ، لقد لبثنا ننتظرك زمنا طويلا ، أتعرفيننى ؟ اننى نعمة الفهـــم التى طالمـا بحثت عنـك ، اننى فى غاية السعادة وان كنت لا أرى أبعد من أنفى ••

نعمة العدل : (تعانقها بدورها) هل تعرفيننى ؟ اننى نعمة العدل التى طالمـا ناشدتك العون ، اننى فى غاية السعادة وان كنت لا أرى أتبعد من ظلّى •

نعمة الجمال : (تعانقهــا كذلك) اننى نعمــة القــدرة على رؤية

الجمـال التى طالمـا هامت بك ، اننى فى غـاية السعادة وان كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامى.

نعمة الفهم : كفى كفى يا أخـواتى والا طال انتظـارنا ، نحن لا ينقصنا ثبات القوة ، ولا تنقصنا سلامة الطوية ، (مخاطبة بسمة النور) هيّا ، انزعى كل الأحجبة التى تخفى عنا بقية الحقائق ، وبقية النعم ، ها أنت ذى ترين كل أخواتى راكعات عند قدميك ، فأنت مليكتنا ، وأنت ثوابنا .

بسمة النور : (وهى تمعن فى حجب وجهها) أخواتى،أخواتى، الجميلات ، ان لى مولى أطيعه ، لم يحن الوقت بعد ، لعله يحين فيما بعـد ، حينئذ سأقبل عليكن بلا خشية ، منفلتة من حجُب الظلال ، فوداعا ، انهضن تتبادل العناق ، مرة بعـد أخرى ، شأن شقيقات اجتمعن بعـد فراق ، انتظارا منـا لليـوم الموعود .

نعمة الامومة : لن أنسى كرم رعايتك لولدىّ الحبيبين .

بسمة النور : اننى سأرعى دائما كل أناس يحب بعضهم بعضا .

نعمة الفهم : لتكن آخر قبلاتك قبلة على جبينى .

(تتبادلان العناق طويلا ثم تنفصلان ماذا فى العيون دموع تترقرق) .

هـو : (بدهشة) لماذا تبكيان ؟ (ينظر الى بقية النعم) وأنتن أيضا ، لمَ البكاء ، لماذا لم تبق واحدة لم تترقرق فى عينيها الدموع ؟

بسمة النور : اسكت يا بنىّ ..

ستار

الفصل الخامس

عالم الغــد
المنظر العــاشر

بهو فسيح فى قصر الأثير ، حيث يقيم الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، على مد المنظر أعمدة من الياقوت تسند عقودا من الزمرد ، كل ما فى البهو من ضوء وعتبات لازوردية ، وشعشعةنهاية البهو حيث تتراجع الأعمدة، وتنبهم أواخرهــا : كل الأشياء كبيرهــا وضئيلها تجللها غلالة من زرقة لطيفة كأنها من عمل السحر أو من نسج الخيال ، يشذ عن ذلك قواعد الأعمدة وتيجانها والأحجــار واســطة العقود وبعض الكراسى والمقــاعد الدائرة فانهــا من الرخــام أو المرمر ، الى اليمين ، بين الأعمــدة أبواب ضخمــة من العقيق ، هذه الأبواب التى سيفتحهــا الدهر قبل ختام المنظر فتنكشف الحياة على الأرض ومطالع الفجر ، يتناثر بتناسق فى كل أرجاء البهو حشد من الأطفال ، يلبسون ثيابا فى زرقة الســماء ، بعضهم يلعب ، وبعضهم يتمشى ، وبعضــهم مستغرق فى الحديث أو الأحلام ، وكثير منهم فى سبات، وكثير منهم أيضــا يشتغلون بين الأعمــدة بتجــارب تسفر عن مخترعات الغــد ، ما يصنعونه من أدوات وعــدد وأجهزة ،

وما يزرعونه أو يجنونه من نبات وزهـــور وفاكهةتلفها جميماغلالة من الزرقةالسماوية التى تجلل البهو كله ، تجوس بين الأطفال فى صمت شخوص كأنها من ملائكة ، لها قامة مديدة ، وبهاء رائع مطمئن .

يدخل من اليسار ، وكأن الدخول خلسة، بالتسحب خلف الأعمدة فى مقدمة المسرح كل من تيلتيل وميتيل وبسمة النور فيثور لدخولهم بين الأطفال هرج ومرج ، ثم يهرعون اليهم من كل صوب ، ويتحلقون حول هؤلاء الزوار الأغراب وينظرون اليهم بدهشة .

ميتيــل : أين قمع السكر والهرة والرغيف ؟

بسمة النور : ليس من شأنهم الدخول هنـــا ، فلو تركنـاهم يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة .

ميتيــل : والكلب ؟

بسمة النور : يحسن أيضا أن لا يعلم ما ينتظره على مرّ القرون، لقد جمعتهم كلهم فى قبو الكنيسة .

هــو : وأين نحن ؟

بسمة النور : نحن فى عالم الغد ، بين الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، وبما أن المـــاسة ستتيح لنا أن نبصر هنـا بوضوح كل ما يعجز الانسان عن رؤيته فاننا فى أغلب الاحتمال سنعثر هنا على الطائر الأزرق .

هــو : عسير أن لا يكون أزرق اللون ، فهذا هو لون كل شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجمل هذا المشهد .

بسمة النور : انظر الى الأطفال الذين يجرون اليك .

هــو : هل أغضبهم حضورنا ؟

بسمة النور : كلا ، فأنت ترى أنهم يبتسمون ولكنهم في دهشة.

الأطفال الزرق : (يجرون اليهم وقد تكاثر عددهم) أحياء صغار ، تعالوا وانظروا الأحياء الصغار .

هــو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار ؟

بسمة النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء .

هــو : وماذا يفعلون اذن ؟

بسمة النور : انهم ينتظرون ساعة مولدهم .

هــو : ساعة مولدهم ؟

بسمة النور : نعم ، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون في الأرض ، وكل واحد منهم ينتظر ساعته ، وحين يود الأباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فان هذا الباب الكبير الذى تراه هناك ، على اليمين ، ينفتح ويخرج منه هبتهم من الأطفال .

هــو : ما أكثر عددهم ، ما أكثر عددهم ؟

بسمة النور : وهناك كثير أيضا غيرهم ، فنحن لا نراهم كلهم ، تخيّل عدد الأطفال الذين سيعمرون الأرض الى آخر الدهر ، لا أحد يقوى على احصائهم .

هــو : ومن هى تلك الشخوص الزرق ؟

بسمة النور : لا يدرى أحد أمرها على وجه التحقيق ، يقال انها الحارسات الحفظة ، وعهدها بالأرض يأتى بعد

هو : عهد البشر ، غير انه لا يجوز لنا أن نستجوبها .

بسمة النور : ولماذا ؟

هو : لأن ما عندها هو سر الأرض .

بسمة النور : وما القول فى الصغار ؟ هل نستطيع أن نكلمهم ؟ نعم ، وينبغى أن نتعارف ، انظر ، ها هو ذا واحد منهم أشدّ من الآخرين تطلّعا اليك فاقترب منه وكلّمه .

هو : وماذا أقول له ؟

بسمة النور : ما شئت ، كأنما تتحدث الى رفيق .

هو : وهل لى أن أصافحه ؟

بسمة النور : بطبيعة الحال . فهو لن يؤذيك ، ولكن عجبا لك، لِمَ هذا التهيب ، سأترككما وحدكما لتجد راحتك معه ، ثم لا بُد لى من أن أتحدث مع الشخوص الزرق .

هو : (يقترب من الطفل الأزرق ويمد له يده) أهلا وسهلا ، (يلمس باصبعه ثوبه الأزرق) ما هذا ؟

الطفل الازرق : (يلمس بجدّ قبعة تيلتيل) وما هذه ؟

هو : هذه هى قبعتى ، أليس لك قبعة ؟

الطفل الأزرق : لا ، وفيمَ لبس القبعات ؟

هــو : خلعها يعنى الاشارة بالتحية ، ثم انها تنفـــع فى البرد •

الطفل الأزرق : وما هو البرد ؟

هــو : حين يرتجف جسدك هكذا (يقلد تيلتيل حركة ارتجاف المقرور) وحين تنفخ فى كفّيك وتطوّح بذراعيك هكذا (يطوّح تيلتيل بذراعيه) •

الطفل الأزرق : هل فى الأرض برد ؟

هــو : نعم ، فى فصل الشتاء ، حين لا حطب فى المدفئة •

الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب ؟

هــو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نقود لشرائه •

الطفل الأزرق : ما هى النقود ؟

هــو : هى الشىء الذى ندفع به •

الطفل الأزرق : فهمتُ •

هــو : وبيننا من عنده نقود ، وبيننا من ليس عنده نقود •

الطفل الأزرق : ولماذا ؟

هــو : لا نقـــود الا عنـــد الأغنياء ، هـــل أنت غنى ؟ كم عمرك ؟

الطفل الأزرق : ســأولد عما قريب ، بعـــد عشر ســنوات ، كيف وجدت أنت الولادة ، هل طبت بها ؟

هـو : نعم وسررت أيضا .

الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتنالها ؟

هـو : لم أعدْ أذكر ، فقد مضى عليها وقت طويل .

الطفل الأزرق : سمعنا كلاما كثيرا عن جمال الأرض وجمال الأحياء .

هـو : صدقتَ ، فأنا لا أشكو من شيء ، فعندنا طيور وكعك ولعب ، بعض الأولاد عندهم كل هذا ، ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها في يد الآخرين .

هـو : سمعنا ان الأمهات يقفن بالأبواب لمراقبتنا ، يقال انهن طيّبات القلب ، أحقّ هذا ؟

هـو : نعم ، الأمهات أبدع شيء في الأرض ، والجدّات أيضا ، غير ان الموت يتخطف الجدّات سريعا .

الطفل الأزرق : تقول الموت ؟ ما هو الموت ؟

هـو : رحيل ذات مساء بلا عودة .

الطفل الأزرق : لماذا ؟

هـو : لا أحد يدري ، لعلّ الدافع على الرحيل هو طلب النجاة من الأحزان .

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميا جدتك ؟

هــو : نعم ، وكانت طيبة القلب جدا .

الطفل الازرق : ماذا جرى لعينيك ، انهما تذرفان لؤلؤا .

هــو : ليس لؤلؤا .

الطفل الازرق : ما هو اذن ؟

هــو : لا شيء سوى أثر انبهار بصرى من انتشار الزرقة حولى .

الطفل الازرق : وما اسمه ؟

هــو : اسم ماذا ؟

الطفل الازرق : هذا الذى يترقرق فى عينيك .

هــو : ما هو الا قطرات من المـاء .

الطفل الازرق : وهل ينبع من العينين ؟

هــو : نعم ، أحيانا ، عند البكاء .

الطفل الازرق : تقول البكاء ؟ ما هو البكاء ؟

هــو : اننى لم أبك ، الذنب ذنب الزرقة من حولى ، ولو بكيت لكان حالى أيضا كما ترى .

الطفل الازرق : وهل يبكون عندكم كثيرا ؟

هــو : الصبيان لا يبكون ، أما البنات ... وهل عندكم أنتم بكاء ؟

الطفل الازرق : كلا ، ولا أعرف كيف أبكى .

هـــو : صبرا ! ستعرف فيما بعد ، بماذا تلعب ، ما هـذه الأجنحة الكبيرة ؟

الطفل الازرق : هذه ؟ انها من أجل الاختراع الذى سأقوم به في الأرض .

هـــو : أى اختراع هو ؟ هل اخترعت شيئا ؟

الطفل الازرق : نعم ، أفلا تدرى ؟ حين أحلّ بالأرض ينبغى لى أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة .

هـــو : أهو شيء لذيذٌ أكله ، أم شيء له ضجيج ؟

الطفل الازرق : كلا ، لا حسّ له .

هـــو : يا للخسارة ..

الطفل الاول : اننى أشـتغل به كل يوم ، وأكاد الآن أنجـزه ، هل تريد أن تراه ؟

هـــو : طبعا ، أين هو ؟

الطفل الازرق : هناك ، بين عمودين ، يمكنك أن تراه من هنا .

(يقترب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كمه) .

الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضا ؟

هـــو : نعم ، وما هو ؟

الطفل الثانى : الوصفات الأربع والأربعون لاطالة الحياة ، انها فى هذه الزجاجة الزرقاء .

طفل ثالث : (يخرج من الحشد) أما أنا فسأسلط نورا لا يعرفه أحد (يسطع جسمه بنور عجيب) أليس هذا بغريب ؟

طفل رابع : (يشد تيلتيل من ذراعه) تعالَ لكى ترى الآلة التى اخترعتها ، انها تحلق فى الهواء كأنها طائر بلا جناح .

طفل خامس : صبرا صبرا ، تعالوا أولا لتروا اختراعى أنا ، انه يكشف الكنوز المخبوءة فى القمر .

(يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل وميتيل ويناشدهما كل واحد منهم بالبدء برؤية اختراعه أولا ، وتختلط الأصوات فيقول صوت « انه أجمل اختراع » ويقول صوت « انه اعجب اختراع » ويقول صوت « انه متشكل من السكر » ويقول صوت « أن سر اختراعى هو فى بساطته » ويقول صوت « لقد سرقوا منى فكرتى » .

وفى هذا الضجيج يشدون تيلتيل وميتيل الى ناحية المعامل الزرق حيث يدر كل طفل آلته المدهشة فتدور فى جو ازرق عجلات واسطوانات وتروس وأشياء عجيبة لم تجد لها اسما الى اليوم ، كأنها فى عالم من صنع الخيال ، آلات كثيرة غريبة مجهولة السر تنطلق وتحوم اعلى البهو او تزحف على الأرض حول الأعمدة ، على حين ينشغل بعض الأطفال الزرق ببسط لفائف الخرائط والرسوم وتقليب صفحات الكتب وازاحة

السستار عن تماثيل زرق وتناول زهور ضخمة وفواكه هائلة الحجم وكأنهـا من ياقـوت وزمرد •

الطفل الأزرق : (وهو رازح تحت حمل زهرة زرقاء ضـخمة) انظروا الى أزهارى •

هــو : ما هذه الأزهار ؟ لا عهد لى بها •

الطفل الأزرق : انها من زهور الربيع •

هــو : مستحيل ، انها كبيرة كعجلة قطار •

الطفل الأزرق : وما أزكى عطرها ؟

هــو : (يشمها) هائل جدا •

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل الى الأرض •

هــو : متى اذن ؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة ، وأربعة شهور ، وتسعة أيام •

(ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان عنقودا عجيبا من العنب ، حبـاته فى حجم الكمثرى وكأنه ثريا بللورية ضخمة) •

احد الطفلين : وما رأيك فى فاكهتى ؟

هــو : أهو عنقود من الكمثرى ؟

الطفل : كلا ، انه عنقود من العنب ، وسيصبح كل عنب هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمرى فقد اكتشفت السر •

طفل آخر : (ينوء بحمل قفص به تفاح فى حجم البطيخ)
انظرنى أنا ، هل ترى تفاحى ؟

هـو : انه بطيخ لا تفاح .

الطفل : كلا ، انه تفاحى ، وهو ليس أفضل ما عندى ، كل تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين الأحياء ، فقد اهتديت الى السرّ ، وسأكون بستانىّ الملك صاحب الأفلاك التسعة .

هـو : الملك صاحب الأفلاك التسعة ؟ أينَ هو ؟

الملك : (يتقدم بخيلاء ، عمره أربع سنوات فيما يبدو) لا يكاد يملك الوقوف على ساقيه الصغيرين المعوّجتين ، هو أنا .

هـو : ولكنك غير كبير السنّ .

الملك : (بلهجة ملؤها الجدّ والعتاب) غير أن كل الذى سأفعله سيكون كبيرا .

هـو : أى شىء ستفعل ؟ !

الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماوية .

هـو : (ملحا فى السؤال) حقا ؟

الملك : كلها ستصبح أعضاء فى الاتحاد ما عدا المشترى

واورانيوس ونيبتيون فهى على بعد مهول يجل
عن القياس .

هو : شيء بديع .

طفل ازرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟

هو : أيهم ؟

الطفل : هناك ، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود .

هو : وما خبره ؟

الطفل : انه سيهب الفرح للأرض .

هو : وكيف ؟

الطفل : بأفكار لم تتولد بعد .

هو : وهذا الطفل السمين الذى يدس اصبعه فى أنفه ، ماذا سيفعل ؟

الطفل : سيكشف النار التى تستمد منها الأرض دفئها اذا ما وهنت حرارة الشمس .

هو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل العناق وقد شد كل منهما على يد الآخر . هل هما أخ وأخت ؟

الطفل : كلا ، انهما طفلان نحن فى حيرة من أمرهما ، انهما هما العاشقان .

هو : وما معنى عاشق ؟

الطفل : لست أدرى ، هكذا يسميهما الدهر ، من قبيل السخرية بهم ، لا عمل لهما طول اليوم الا تبادل النظرات والقبلات وتنهدات الوداع •

هــو : ولماذا ؟

الطفل : لأنهما لن يتاح لهما فيما يبدو أن ينزلا الى الأرض معا •

هــو : وهذا الطفل أبو الخدين المورّدين الذى يمص ابهامه وقد بدت عليه امارات الجدّ • مَنْ هو ؟

الطفل : انه ــ فيما يبدو ــ المكلف بمحو المظالم من على وجه الأرض •

هــو : حقا ؟

الطفل : يقال انه عمل شاق •

هــو : وهذا الطفل الأشقر الذى يمشى وكأنه لا يرى شيئا ، هل هو مصاب بالعمى ؟

الطفل : لم يصبه للآن ولكن سيصيبه فيما بعد ، تأمله جيدا ، انه فيما يبدو المكلّف بالانتصار على الموت •

هــو : ماذا سيعمل ؟

الطفل : لست أدرى على وجه اليقين ، ولكن يقال ان عمله سيكون هائلا •

(يشير تيلتيل الى اطفال نائمين عند قواعد الأعمدة ، وفوق الدرج وعلى المقاعد) .

هــو : وكل هؤلاء النائمين ، وما أكثر النائمين هنا ، ألن يكون لهم عمل ؟

الطفل : ان ذهنهم هو الذى يعمل الآن .

هــو : من أجل ماذا ؟

الطفل : انهم لا يدرون بعد ، ولكن ينبغى لهم أن يمنحوا الأرض شيئا فممنوع علينا هنا أن نخرج الى الأرض وجبتنا فارغة .

هــو : ومن الذى يمنعكم ؟

الطفل : انه الدهر الذى يقف بالباب وسترى حين يفتحه انه لا يترفق بنا .

(طفل يجرى من مؤخرة البهو يشق الحشد) .

الطفل : أهلا يا تيلتيل .

هــو : عجبا ، كيف عرفت اسمى .

الطفل : (وهو يلهث ويرشق تيلتيل وميتيل بقبلات حارة) أهلا بكما ، كيف حالكما ، تعال يا تيلتيل عانقنى ، وأنت أيضا يا ميتيل ، ليس من العجيب يا تيلتيل أن أعرف اسمك اذ أننى سأكون أخاك ، لم أسمع الا الآن بمقدمك ، كنت فى نهاية البهو منشغلا

بجمع أفكارى وحزمها ، قل لأبى اننى مستعد .

هــو : كيف ؟ أعازم أنت على المجيء عندنا ؟

الطفل : طبعا ، السنة القادمة ، فى عيد الفصح ، أرجوك أن لا تعذبنى كثيرا أثناء طفولتى بينكم ، ويسعدنى أن استطعت عناقكما مقدما ، وقل لأبى أن يصلح المهد ، هل الأحوال عندكم طيبة ؟

هــو : لا بأس بها ، وأمى طيبة القلب جدا .

الطفل : والطعام ؟

هــو : أنت وبختك ، وقد تأكل فى بعض الأيام فطائر حلوة ، أليس كذلك يا ميتيل .

هــى : فى الأعياد وأمنا هى التى تصنعها بيدها .

هــو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك . ما الذى ستأتى به الينا ؟

الطفل : سآتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة ، والسعال الديكى ، والحمّى القرمزية .

هــو : كفاية كفاية ، ثم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد ذلك ؟

الطفل : بعد ذلك سأرحل .

هــو : لم يكن هناك اذن داع للمجيء .

الطفل : وهل لنا خيار ؟

(يعلو فى هذه اللحظة ثم ينتشر صوت بللورى له ذبذبة متصلة قوية ينبعث فيما يبدو من الأعمدة والأبواب العقيقية وقد غمرها نور أشد سطوعا) .

هو : ما هذا ؟

الطفل : هذا هو الدهر ، انه يوشك أن يفتح الأبواب .

(يشيع الهرج والمرج بين الأطفال ، يترك أغلبهم آلاتهم وأعمالهم ، النائم منهم يستيقظ ، ويحول الجميع أبصارهم نحو الأبواب العقيقية ثم يقتربون منها)

بسمة النور : (وقد عادت الى تيلتيل) هيا نحاول الاختفاء وراء الأعمدة ، اذ ينبغى أن لا يكتشف الدهر وجودنا هنا .

هو : من أين ينبعث هذا الصوت ؟

الطفل : انه الفجر وقد أوشك أن يطلع ، انها الساعة التى ينزل فيها الى الأرض كل طفل سيولد اليوم .

هو : وكيف ينزلون ؟ هل هناك سُلّم ؟

الطفل : سترى ، انظر الى الدهر ، انه يشدّ المزلاج .

هو : ومن هو هذا الدهر ؟

الطفل : انه رجل شيخ ، ينادى الأطفال النازلين .

هو : وهل هو شرير ؟

الطفل : كلا ، ولكنه لا يسمع لنا قولا فانه رغم التوسّل

يصد كل راغب فى النزول اذا لم يكن قد أتى دوره •

هـو : وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟

الطفل : على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا اذا حرمنا من النزول للأرض • غير أننا حين ننزل نشعر بمسحة من الحزن •• أنظر أنظر ، هذا هو الدهر يفتح الأبواب •

(تنفتح الأبواب على مصاريعها ببطء ، وتصل الى الأسماع من بعيد ضجة الأرض كأنها أنغام موسيقية) •

الدهر : (فى هيئة شيخ له لحية طويلة يحمل منجلا وساعة رملية ، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف أشرعة بيض وذهبية لسفن راسية على أرصفة منعقدة من أنفاس الفجر الندية ، يتكلم وهو على عتبة الباب) هل استعدّ كل من دقت ساعته ؟

(يهرع اليه أطفال زرق وهم يشقون الحشد من كل جانب) •

الأطفال : مستعدون ، مستعدون ، مستعدون •

الدهر : (فى صوت أجشّ غضوب ، يقول للأطفال وهم يمرون أمامه استعدادا للنزول) واحدا واحدا ، لقد تقدم منكم عدد أكثر مما ينبغى ، الحال لا يتغيّر ، ولكن هيهات أن يستغفلنى أحد ،

(يصدّ طفلا) ليس هذا دورك ، عُدْ ، فموعدك غدا ، وانت كذلك مثله ، ان موعدك بعد عشر سنوات ، ماذا ؟ أراعٍ آخر يريد النزول ، انه الثالث عشر ولا يلزمنا الا اثنا عشر فقد انقضى عهد الرعاة ، وهذا حشد من الأطباء ، سبق أن نزل منهم أكثر مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا بالشكوى • وأين المهندسون ؟ هناك حاجة لرجل أمين بينهم ، رجل واحد ، يكون بمثابة المعجزة فى الأرض ، فأين هو هذا الرجل الأمين ؟ (يشير الى طفل قائلا) أنت ؟ (تفيد هزة من رأس الطفل انه يقول نعم) ولكنك نحيف ، ولن تعيش طويلا، وأنتم (مشيرا الى أطفال يتزاحمون على النزول) أنتم هناك ، لا تسرعوا هكذا ، (الى طفل) وأنت ماذا ستحمل للأرض ؟ لا شيء ؟ يدك خلو ؟ اذن لا نزول لك • عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئا، حتى ولو جريمة كبيرة اذا شئت ، أو عدوى وباء، فالأمر لا يعنينى ، وسيان عندى هذا وذاك ، ولكن لا بد أن تحمل لهم شيئا ان أردت النزول ، (يقع بصره على طفل يدفعه الآخرون للأمام وهو يغالبهم بجهد) وانت ماذا بك ؟ انت تعلم حق العلم ان الساعة ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم،

فأنت من يجب عليه النزول •

الأطفـــال : انه لا يريد النزول يا سيّدنا •

الدهر : كيف ؟ لا يريد النزول ؟ أين يحسب نفسه هذا المسخ ؟ ألا يعلم أن لا شفاعة ولا شـفيع هنـا ؟ (الى الطفل) هيّا هيّا ، فليس لدينا وقت •

الطفل المتابى على النزول : لا • لا • لا أريد ، أحبّ أن لا أولد ، أفضل البقاء هنا •

الدهر : لادخل هنا لحبك أو لكرهك ، اذا أزفت الساعة فليس منها مفرّ ، هيا ، الى الأمام ، أسرع •••

طفل آخر يتقدم : دعونى أمرّ ، سـآخذ دوره ، فقـد سـمعت أن أبوى عجوزان ، وانهمـا ينتظراننى منذ أمد طويل •

الدهر : دعنا من هذا ، فالساعة هى السـاعة ، والدهر هو الدهر ، لو أصغيت لكم لمـا فرغت ، هذا يريد ، وذاك لا يريد ، هـذا متعجـل ، وذاك متبـاطىء (يزيح عن عتبة الباب كل الأطفال المتزاحمـين عليها) لا تقتربوا كثيرا يا أولاد ، الى الوراء كل فضـولىّ ، من لم يأت دوره لا شـأن له بما وراء الباب ، أنتم الآن تتلهفون على الخروج وحـين يجىء دوركم اذا بـكم تنكصـون فى خـوف

انظروا ، ها هم أربعة أطفال يرتعشون كورقة فى مهبّ الريح ، (الى طفل لم يكد يهم بالخروج حتى عاد أدراجه) ماذا بك ؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجريمتين اللتين سأرتكبهما فى الأرض .

طفل آخر : ونسيت أنا القمقم الذى وضعت فيه الفكرة التى ستنير للناس طريقهم .

الطفل الثالث : ونسيت أنا البذرة التى ستطرح أجمل الكمثرى .

الدهر : أسرعوا وأتوا بها،لم يبق أمامنا الا اثنتان وسبعون ثانية ، ان سفينة الفجر تهز شراعها دلالة على أنها تستعجلنا ، اذا تأخرتم أقلعت دونكم ولم تولدوا ، هيا هيا ، انزلوا الى السفينة (يمسك بطفل يحاول المروق من بين ساقيه ليركب السفينة) ماذا أفعل بك ؟ لقد عيل صبرى ، هذه ثالث مرة تحاول فيها أن تولد قبل دورك احذر أن تقع يدى عليك مرة أخرى والا سيكون انتظارك أبديًا ، ويكون مقامك فى جـــوار أخى الأزل ، وانت تعلم انه مقــام عصيب ، دعونى الآن لعملى ، هل نحن جميعـا مستعدون ؟ هــل كل واحــد منـــا فى مــكانه ؟ (تستعرض نظــرته الأطفــال الذين تجمعوا على

الرصيف أو جلسوا فى السفينة) ينقصنا واحد ، يختبىء كما يشاء فانى لا بُدَّ واجده رغم الزحام، فهيهات أن يستغفلنى أحد ! فهيّا ، انت هناك ، انت الذى يسمونه بالعاشق ، قل وداعا لعشيقتك وتعال (زوج العشاق وهما فى عناق طويل ، لكل منهما وجه محنق يائس يتقدمان نحو الدهر ويركعان أمامه .

البنت : دعنى يا سيدى أرحل معه .

الولد : دعنى يا سيدى أمش معها .

الدهر : مستحيل ، لم يبق أمامنا الا ثلاثمائة وأربع وتسعون ثانية ، وليس لأحد منكم خيار هنا .

البنت : سيّدى ، سيكون نزولى الى الأرض بعد فوات فرصة اللقاء .

الولد : لن أكون هناك حين تنزل هى .

البنت : لن تتاح لى رؤيته بعد اليوم .

الولد : سيعيش كل منا فى الأرض وحيدا .

الدهر : كل هذا لا يعنينى ، قدّما التماسكما الى الحياة أما أنا فأجمع وأفرق تنفيذا للأوامر ، (يمسك بالولد ويقول له) : تعال .

الولـد : لا ، لا ، خذها هي أيضا .

البنت : (تتشبث بثياب الولد) دعه لي ، دعه لي .

الدهر : رشادكما ! انني لا أقوده للمـوت ! بل للحيـاة (يجر الولد قائلا له : تعالَ تعالَ) .

البنت : (تمد يدها بيأس نحوه) اجعل لي علامة ، علامة، قل لي كيف ألقاك ؟

الولـد : سأحبك الى الأُبد .

البنت : سأكون سقيمة من الحزن ، وهذه هي علامتي التي ستعرفني بها .

(تسقط وتظل ميطرحة على الأرض) .

الدهر : تجملي ، فهذا أفضل لك ، والآن قد انتهينا (ينظر الى ساعته الرملية) لم يبق أمامنا الا ثلاث وستون ثانية .

(يشتد آخر هرج ومرج للأطفال الراحلين والباقين ، تبادل لعنـاق الوداع في عجلة « الى اللقاء يا بيير » ــ « الى اللقاء ياجان » « هل أخـذت كل ما يلزمك ؟ » ــ « بشر بأفكاري » ــ « ألم تنس شيئا » ــ « لاتنس أن تلقاني هناك » ــ « سأهتدي اليك » ــ « اياك أن تفقد فكرتك » ــ « احذر أن تميل كثـيرا وأنت تطل من حافة السفينة على الفضاء » ــ « ابعث لنا بأخبارك » ــ « اخبرنا

هل الحال طيب هنـــاك » ـ ستجدنى فى لقائك » سأولد على عرش النخ النخ) .

الدهر : (وهو يهز منجله ومفاتيحه) كفى كفى ، رفعت السفينة أنجرها وأوشكت على الاقلاع .

« يمر شراع السفينـة ثم يختفى ، ونسمع تهليل راكبيها وهى متباعدة : « الأرض ، الأرض ، انى أراها ، انها جميلة » ، انهـا مضيئة ، انها كبيرة ، ثم تنبعث وكأنما من قرار سحيق أغنية تأتى من بعيد كلها مرح وترقب » .

هـــو : (الى بسمة النور) ما هذه الأغنية ؟ انها ليست فيما يبدو من غناء الأطفال الراحلين ، فالصــوت مختلف .

بسمة النور : نعم ، فهذه هى أغنية الأمهات المتطلعات للقـــاء الأطفال .

(يغلق الدهر الأبواب العقيقية ثم يلتفت ليلقى آخـــر نظرة على البهو فاذا به يفاجأ بتلتيل وميتيل وبسمة النور) .

الدهر : (فى دهشة وغضب) ما هذا ؟ ماذا تفعلون هنا ؟ من أنتم ؟ لمـاذا لونكم غير أزرق ؟ من أين دخلتم؟

(يتقدم اليهم مهددا بمنجله) .

بسمة النور : (الى تيلتيل) لا تردّ عليه ، ان الطائر الأزرق

معى ، أخفيه تحت وشاحى ، فلنهرب من هنـا ، أدر المـاسة وسترى أنه سيعجز عن اقتفاء أثرنا .

(يتسللون بين الأعمـدة الى اليســـار ويخرجون) .

« ســــتار »

الفصل السادس

المنظر الحادى عشر

الوداع

المسرح يمثل جدارا يشقه باب صغير ، الوقت : طلوع الفجر ، يدخل تيلتيل وميتيل وبسمة النور والرغيف وقمع السكر والنار واللبن .

بسمة النور : ما هذا المكان فى تخمينك ؟ ستعجز عن الاجابة ولا ريب ؟

تيلتيل : طبعا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم أره من قبل ؟

بسمة النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير ؟

هـــو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمة النور : ألا يذكرك الباب بشيء ؟

هـــو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربا من الدهر .

بسمة النور : ما أغرب حال الناس حين يعيشون فى الأحلام ، يدهم أمامهم يرونها ولكنهم لا يعرفونها .

هـــو : من الذى يحلم ؟ أهو أنا ؟

بسمة النور : لعلّه أنا ، من يدرى ، ومع ذلك فهـذا الجـدار يسوّر بيتا رأيته أنت مرارا منذ مولدك .

هــو : تقولين اننى رأيته مرارا ؟

بسمة النور : صـحّ النـوم ، هـذا هو البيت الذى غادرناه ذات مساء منذ عام فى مثل هذا اليوم ، لا قبل ولا بعد .

هــو : عام كامل ؟ ثم ماذا حدث ؟

بسمة النور : لا تجحظ عيناك من الدهشة كأنهمـا بحيرتان من الياقوت ، انه هو البيت ، بيت والديك .

هــو : (يقترب من الباب) نعم ، أظنّه هو ، نعم ، يخيـل الىّ ، هذا الباب الصغير ، عرفت الآن مزلاجه ، هل سأجد أهلى داخله ؟ هـل نحن الآن بالقرب من أمى ؟ أود أن أدخل فورا ، وأعانقها توا .

بسمة النور : انتظر لحظـة ، انهمـا غارقان فى سـبات عميق . ينبغى أن لا نوقظهما فجأة ، ثم ان الباب لا ينفتح الا اذا دقت الساعة .

هــو : أية ساعة ؟ وهل سيطول انتظارى ؟

بسمة النور : كلا مع الأسف ، ما هى الا دقائق قليلة .

هــو : ألا يسعدك الدخول معى ؟ ماذا بك يا بسمة النور ، انك شاحبة اللون حتى ليقال انك مريضة .

بسمة النور : أنا بخير يا بنيّ ، ولكني أحسّ بمسحة من الحزن لأنني سأفارقكم .

هو : تفارقيننا ؟

بسمة النور : لا مفرّ من ذلك . لم يعد لي ما أعمله هنا . لقد حال الحول ، فان الجنية ستعود وتطالبك بالطائر الأزرق .

هو : ولكن الطائر الأزرق ليس معي ، فان طائر عالم الذكريات قد اسودّ لونه ، وطائر عالم الغد قد احمرّ لونه ، وطيور فحمة الليل قد ماتت ولم أستطع اقتناص طائر الغابة ، هل الذنب ذنبي اذا بدّلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من يدي . وهل ستغضب الجنية ، وماذا عساها تقول ؟

بسمة النور : فعلنا كل ما قدرنا عليه ، لا مفرّ من الاعتقاد بأن الطائر الأزرق لا وجود له اذ أنه يبدّل لونه اذا دخل القفص .

هو : وأين القفص ؟

الرغيف : ها هو ذا ياسيّدي ، لقد كلفت بحمله والحرص عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأخطار ، والآن وقد انتهت مهمتي فاني أعيده اليك سليما محكم الاغلاق كما تسلمته ، (يتخذ لهجة الخطيب)

والآن ، باسم جميع الحاضرين أستأذنكم فى أن
أضيف كلمتين •

النـــار : لم يأذن له أحد بالكلام •

المـــاء : سكوت • سكوت •

الرغيف : هذه المقاطعات الخبيثة من عدو حقير أو من منافس حقود (يرفع صوته) لا تمنعنى من أداء واجبى حتى النهاية ، لذلك ، نيابة عن الجميع أقول ••

النـــار : من أذنك أن تتكلم نيابة عنى ، أليس لى لسان ؟

الرغيف : (مستمرا) نيابة عن الجميـع أقول ، تعبيرا عن عاطفة لا يمنعهـا اضـمارها من أن تكون صادقـة وعميقـة ، اننـا نودع الآن الصـبيين الصغيرين اللذين اختارهما القدر ، بعد أن تمّت اليوم مهمتنا فاذا قلنـا لهما اليوم وداعا فانمـا نعبّر عن حزننـا ومودتنا وتقديرنا المتبادل •••

هـــو : ماذا ؟ تقول وداعا ؟ أتتركنا أنت أيضا ؟

الرغيف : لا مفرّ من ذلك مع الأسـف ، نعم ، سأفارقكما ولكنه فراق فى الظاهر ، فلا يجدّ الا أن آذانكم لن تسمعنى أتكلم •

النـــار : لحسن الحظ !

الماء : سكوت . سكوت ..

الرغيف : (لا يبالي بالمقاطعة وفي لهجة جادة) انني أتجاهل هذه المقاطعة ، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعني أتكلم ، لن تروني فيما بعد نابضا بالحياة ، ستعمى عيونكم عن رؤية سريرة الأشياء ، ولكني سأكون هناك دائما ، في صندوق الخبز ، وعلى الألواح ، وعلى المائدة ، بجانب قدر الحساء ، فاني بين أطعمة الانسان – ان جاز لي القول – أشدها اخلاصا له وأقدمها صحبة .

النار : مهلا . مهلا وأنا ؟

بسمة النور : رشادكم ، الوقت يمر ، والساعة توشك أن تدق، حينئذ تدخلون عالم الصمت فأسرعوا بمعانقة الصغيرين .

النار : (تسرع اليهما) أنا أولا ، أولا أنا (تعانقهما بحرارة وعاطفة ملتهبة) وداعا يا تيلتيل ، وداعا يا ميتيل ، وداعا يا عزيزي ، اذكراني اذا حدث ذات يوم أن احتجتما الى من يشعل لكما نارا ..

هو : أي أي ، انها تحرقني .

هي : وتلهب أنفي .

بسمة النور : رشادك يا نار ، بعض هـذا الاندلاق ! انك لا تعانقين مدفئة ..

المـاء : يا لها من غبيّة .

الرغيف : وقليلة الأدب .

المـاء : (تقترب من الصبيين) عنـاقي لكما كله ود ولا أذى منه .

النـار : احترسا فانها ستبللكما .

المـاء : انني عطوف رقيقة ، سائغة للشاربين .

النـار : وما قولك في الغرقى ؟

المـاء : أوصيكما بحب النـافورة ، واصـغيا الى خرير الجداول فاني سأكون هناك .

النـار : أهو كلام أو طوفان ؟

المـاء : فاذا جلستما مساءً على ضفاف الجداول ، والغـابة هنا مليئة بها ـ فأصيخا لها السمع لتفهما ماذا تريد أن تقوله لكما ، ان الدمـوع تخنقني وتمنعني عن الكلام .

النـار : لا يطابق حالها قولها .

المـاء : واذكراني اذا رأيتما الابريق ، وستجداني أيضـا في الكوز ، والبئر ، والمرشّ ، والصنبور .

قمع السكر : (وهو يبالغ بطبعه فى الرقة والتجمل) واذا بقى ركن ولو صغير فى ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتى كانت أحيانا حلوة لكما ، لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك ، فان الدموع غير موصوفة لطبعى ، واذا سقطت على قدمىّ أذابتهما •

الرغيف : يا منافق !

النار : (مقلدة صوت الباعة) سكّر نبات ، ملبّس ، كراميلاّ •

هو : وأين اختفى تيلو وتيليت • ماذا يفعلان ؟

(تسمع صرخات عالية تنبعث من الهرة)

هى : (فى انزعاج) هذه تيليت تنهنه ، هى فى شدة من الألم •

(تدخل الهرة جريا ، انتفش شعرها وتلبد ، تمزقت ثيابها ، تضع منديلا على خدها كأنما تتوجع من أضراسها ، تتوالى لها تنهدات لا تخلو من غضب ، والكلب يزنقها ويخبطها برأسه ويده وقدمه) •

الكلب : (وهو يضرب الهرّة) خذي ، أيكفيك هذا أم تريدين المزيد خذى •• خذى •

بنسمة النور تيلتيل وميتيل يسارعون الى نصلهما : تيلو ! اجننت ؟ العجب لك . ارقد الا تنتهى ؟ من يصدق ؟ كفى كفى .

(يفصلون بين الاثنين بهمة) .

بسمة النور : ما هذا ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : (تتباكى وتمسح الدموع) انه هو الذى اعتدى على يا سيدتى بسمة النور ، لقد أهاننى وشتمنى ووضع المسامير فى حسائى وشد ذيلى وانهال على ضربا وأنا لم أفعل له شيئا .

الكلب : (يقلدها ساخرا) لم أفعل له شيئا ! (يغيظها بوضع كفه على أنفه وتلعيب أصابعه) لا يهمنى الآن شيء ، فقد ضربتك ، وضربتك ضربا موجعا، وسأضربك .

هى : (تأخذ الهرة فى حضنها) تيليت يا مسكينة . أرينى موضع الألم ، اننى سأبكى أنا أيضا ..

بسمة النور : (تزجر الكلب) مما يزيد فى حماقتك انك اخترت لحظة هى فى ذاتها مؤلمة لتعرض علينا هذا المشهد المشين ، ألا تعلم انها لحظة الوداع ؟

الكلب : (وقد هدأ فجأة) أهو وادع للصبيين ؟

بسمة النور : نعم ، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد الى عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما .

الكلب : (تند عنه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرتمى على

الضبيين ويرشقهما بقبلان حارة هو جاء) كلا ، كلا ، أبدا ، أبدا ، سأظل أكلمهما ، انت تفهمني الآن يا مولاى ، أليس كذلك ؟ نعم • نعم • سأقول لك كل شيء ، وستقول لى كل شيء ، لن تشكو بعد من سوء أدبى ، وسأتعلم القراءة والكتابة ولعب الدومينو ، وسأكون دائما نظيفا ، ولا أسرق شيئا من المطبخ • أتريد أن أريك لعبة من ألعابى المدهشة ؟ أتريد منى أن أعانق الهرة ؟

هـى : (للهرة) وأنت يا تيليت ، ليس عندك ما تقولينه لى ؟

الهرة : (وقد أحرجت وهى تتكتم نياتها) ستلقيان منى الحب ما دمتما جديرين به •

بسمة النور : الآن جاء دورى يا عزيزى لأقبلكما للمرة الأخيرة •

(تيلتيل وميتيل يتشبثان بثياب بسمة النور ، كلا . كلا ، يا بسمة النور ، ابقى هنا معنا ، أبونا لن يعترض . وأمنا ستقول لها انك كنت فى غاية الطيبة معنا .)

بسمة النور : لا أستطيع مع الأسف فان هذا الباب موصد دوننا وينبغى لى أن أفارقكما •

هـو : وأين تذهبين وحدك ؟

بسمة النور : غير بعيد يا عزيزى ، سأكون هناك .. فى عالم الصمت .

هــو : لا . لا . لا أريد فراقك ، سنذهب معك ، وسنقول هذا لأمى .

بسمة النور : لا تبكيا يا عزيزىّ ، ليس لى مثل ما للماء من صوت ، فليس عندى الا ضيائى وهو شىء لايسمعه الانسان . ولكننى سأظل ساهرة على هذا الانسان الى الأبد ، واذكروا دائما اننى هى من تكلمكهما فى كل شعاع من القمر ، وفى كل بسمة من نجم ، فى كل فجر يبزغ ، فى كل مصباح يوقد، فى كل خاطرة خيّرة بريئة فى قلبيكما ، (تدق الساعة خلف الجدار ثمانى دقات) انصتا ، دقت الساعة ، فوداعا ، الباب ينفتح ، ادخلا ، ادخلا ، مع السلامة ، مع السلامة .

(تدفع الصبيين عبر الباب الصغير الذى ينفتح ثم ينغلق عليهما . يمسح الرغيف دموعا منفلتة ! أما قمع السكر والماء فينخرطان فى البكاء ثم يتفرق الجميع سراعا كأنهم يهربون ويخرجون الى اليمين والى اليسار .

يسمع نباح الكلب من ناحية ، ويظل المسرح خاليا برهة قصيرة ثم ينشق من الوسط منظر الجدار والباب الصغير ليكشف عن المنظر الأخير .

المنظر الثـــانى عشر
اليقظــة

هو عين المنظر الأول ، ولكن كأنما مست يد سحرية كل الأشياء ، الجو والجدران ، فاذا بها تنم عن الصفاء والبشر والسعادة ، ينفذ ضوء النهار من خصاص النافذة وينشر البهجة ، تيلتيل وميتيل غارقان فى النوم فى مهديهما على اليمين فى آخر الحجرة ، والكلب والهرة وباقى الأشياء تلزم الوضع الذى كانت عليه فى المنظر الأول قبل دخـــول الجنية .

(تدخل الأم تيل) .

الأم : (وهى تزجر الصبيين فى حنـو ّ وانشراح) هيّا هيّا ، على أقدامكم يا كسالى ، ألا تخجلان ؟ لقد دقت الساعة الثامنة وعلت الشمس أشجار الغابة ، يا له من نــوم عميــق (تنحنى وتقبلهمـــا) على وجناتهمـا صـــبغة الورد ، ويفـوح منهما عطـر الزهـور ، (تقبلهمـا مرة أخرى) ما أسـعدنى يا أولادى ! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى الظهر والا شببتما على الكسل ، ثم انى سمعت أن طول النوم مُضر ّ بالصـحة ، ها هما يستيقظان . ماذا بك ؟ (الى تيلتيل) كأنما عشيت عيناك .

هـو : (وهو يفرك عينيه) أمي . أمي ، أنت التي أرى ..

الأم : نعم بالطبع ، أنا أمك ، لم يتبدل وجهي هذه الليلة . ماذا بك حتى تنظر الي بمثل هذه الدهشة ؟ هل انقلب أنفي فأصبح تحته فوقه .

هـو : ما أسعدني برؤيتك ، كأنني لم أرك منذ زمن طويل . ينبغي أن أعانقك فورا ، مرة بعد مرة ، أحقا أن هذا هو فراشي ؟ أحقا أنني في البيت ؟

الأم : ماذا دهاك ، ألم تستيقظ بعد ؟ هل أنت مريض ؟ دعني أرى . اخرج لسانك ، هيا ، قم والبس ثيابك .

هـو : عجبا ، أرى أنني لا ألبس الا قميصي .

الأم : طبعا ، أنت لا تلبس غيره عند النوم ، هيا ، البس سترتك وسروالك ، انها هناك فوق المقعد .

هـو : هل كنت ألبسها أثناء الرحلة ؟

الأم : عن أي رحلة تتحدث ؟

هـو : رحلتي في العام الماضي .

الأم : العام الماضي ؟

هـو : نعم ، في عيد الميلاد ، حينما خرجت من البيت .

الأم : خرجت من البيت ؟ انك لم تغادر هذه الحجرة ،

لقد وضعتك في الفراش أمس وها أنذا أجدك فيه هذا الصباح ، هل رأيت في الحلم كل ما تقوله لي ؟

هـو : أنت لا تفهمين ، رحلة العام الماضي حينما خرجت مع ميتيل والجنية وبسمة النور ـ على فكرة ، بسمة النور ست طيبة جدا ـ وكان معنا الرغيف وقمع السكر والماء والنار ولم ينقطع بينهما الشجار . هل أغضبك رحيلي ، هل أحزنك كثيرا ، وماذا قال أبي ؟ لم أستطع أن أرفض الرحيل فتركت رسالة أشرح فيها ...

الأم : ما هذا الهراء ، لا ريب أنك مريض أو أنك لا تزال غارقا في النوم (تربت عليه بحنان) هيا ، استيقظ ، هل وعيت لنفسك ؟

هـو : أؤكد لك يا أمي . . صدّقيني ، لعلّ المستغرق في النوم هو أنت .

الأم : كيف أكون مستغرقة في النوم ، انني مستيقظة وأعمل منذ الساعة السادسة ، فنظّفت البيت وأشعلت النار في المدفأة .

هـو : اسألي ميتيل وسترين أنني لا أكذب ، كم رأينا من مغامرات ؟

الأم : ميتيل أيضا ؟ هذه حكاية طويلة .
هـو : انها كانت معى ، ورأينا جدّى وجدّتى .
الأم : جدك وجدتك ؟
هـو : فى عالم الذكريات ، كان فى طريقنا ، هما بين الأموات ولكن صحتهما حسنة ، وقد صنعت لنا جدتى فطيرة تفاح بديعة ورأينا أخوتنا روبير وجان ومعه نحلته ، ومادلين وبيريت وبولين ثم ريكيت .
هـى : ريكيت تحبو ولا تمشى .
هـو : أمّا بولين فدمّلها لا يزال على أنفها .
هـى : ورأيناك أنت أيضا يا أمى مساء أمس .
الأم : لا عجب فى ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس .
هـو : كلا كلا ، انما رأيناك فى فردوس الأرض ، وكنت أبهى جمالا ولكن شبهك لم يتغيّر .
الأم : فردوس الأرض ؟ لست أعرفه !
هـو : (يتأملها ويعانقها) كنت أمس أبهى جمالا ولكنى أحبك كما أنت الآن .
هـى : (تعانقها) وأنا أيضا ..
الأم : (وقد رق لهما قلبها ولكن القلق لا يزال يساورها) يا الهى ! ماذا دهاهما ، سأفجع فيهما

كما فجعت فى اخوتهما ، (تنزعج فجأة وتنادى) بابا تيل ، بابا تيل ، تعال سريعا ، أولادنا مرضى .

الأب : ماذا جرى ؟

هو وهى : (يجريان اليه ويعانقانه فى فرح) هذا هو بابا ، هذا هو بابا ، صباح الخير يا بابا ، هل كانت السنة الماضية سنة رخاء ؟

الأب : لم الانزعاج ؟ ما السبب ؟ لا أراهما مريضين ، بل هما فى أحسن صحة .

الأم : (وعيناها تدمعان) لا تخدعك الظواهر ، فلعلّ حالهما هو حال اخوتهما وقت أن فجعنا فيهم . كانوا فى أتمّ صحة الى آخر يوم . ثم توفاهم الله الى رحمته ، لاأدرى ماذا جرى لهما ، لقد أرقدتهما أمس فى الفراش وهما فى أحسن حال، فلما أيقظتهما هذا الصباح اذا هما فى أسوأ حال ، أصابهما الهذيان ولا كلام لهما الا عن رحلة موهومة ، رأيا خلالها بسمة النور وجدهما وجدتهما ، يقولان انهما بين الأموات ولكن صحتهما حسنة .

هو : جدى لا تزال له ساقه الخشبية .

هى : وجدتى لا تزال تشكو من الروماتزم .

الأم : هل سمعت • اجر لتنادى الطبيب •

الأب : لا • لا • وهل هما يحتضران حتى أناديه ؟ صبرا لننتظر ماذا سيحدث لهما • (يسمع دق على الباب) ادخل ••

الجـارة : صباح الخير ، وكل عيد وأنتم جميعا فى صحة وسلامة •

هـو : هذه هى الست غرباوية •

الجـارة : جئت لآخذ قليلا من الحطب ، لأُطبخ عليه حساء العيد ، فالجوّ بارد هذا الصباح ، صباح الخير يا أطفال • كيف الحال ؟

هـو : يا ست غرباوية ، لم أجد لك الطائر الأزرق •

الجـارة : ماذا يقول ؟

الأم : مصيبة يا ست غريبّة ، انهما يهذيان ، هذا هو حالهما منذ أن استيقظا ، لا شك أنهما أكلا شيئا أضرّ بهما •

الجـارة : طيّب يا تيلتيل ، ألا تعرف الست غُريبّة ، جارتك الست غُريبّة ؟

هـو : نعم أعرفك ، أنت الست غرباوية • أغاضبة أنت منى ؟

الجــارة : غرباوية ؟

هــو : غرباوية .

الجــارة : تريد أن تقول غُريبّة ؟

هــو : غرباوية ، غريبة ، كما تشائين ، ان كنتم فى شك فاسألوا ميتيل .

الأم : الداهية السوداء أن ميتيل تهذى أيضا .

الأب : كلام فارغ ، سينقطع الهذيان وسأناول كلا منهما صفعة على خدّه لتنبيهه .

الجــارة : لاتفعل ، لالزوم للصفع ، فانى خبيرة بهذه الحالة هى أضغاث أحلام تلم بكل من يرقـد فى ضـوء القمر ، وابنتى المريضـة حالهـا هكذا فى أغلب الأوقات .

الأم : على فكرة ، كيف حالها الآن ؟

الجــارة : نصف نصف ، انها لا تقوى على مغـادرة الفراش ويقول الطبيب انها مسألة أعصاب ، ومع ذلك فانى أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى فى هـذا الصباح ليكون هديتها يوم العيد . انها على يقين من أنه دواؤها الشافى . هكذا تحدثها نفسها .

الأم : نعم ، أعلم يقينها هذا ، تؤمن أن لا دواء يشفيها الا عصفور تيلتيل،فهى لاتنفك تطلبه.اذن ياتيلتيل ،

ألم تطب نفسك بعد باهدائه الى هذه الفتاة المسكينة؟

هــو : هو لى فكيف أهديه يا أمى ؟

الأم : هولى ، هولى ، ولكنك لا تعنى به • بل لا تلقى عليه نظرة فهو من شدة الحسرة يوشك أن يموت منذ زمن طويل •

هــو : نبّهتنى يا أمى ، الآن تذكرت عصفورى • أين هو ؟ ها هو القفص • ميتيل ! أترين القفص ؟ هو الذى كان فى يد الرغيف • نعــم ، هو بعينــه ، ولكن ليس به الا عصفورى ، فأين الآخر ، الطائر الأزرق ، هل أكله عصفورى ؟ انظرى أنظرى ! يا للعجب ، فى القفص طائر أزرق ، وما هو الا عصفورى ، هو بعينه ، وان كانت زرقته قد زادت ، انه الطائر الأزرق الذى طالما سعينا وراءه فلم ننجح فى اقتناصه ، على حين أنه كان موجودا فى بيتنا طول الوقت ، هـذا شىء مدهش ، هـذا شىء بديع ، ميتيل ، أترين العصفور قد عرفنا الآن أنه الطائر الأزرق • ماذا كانت تقول بسمة النور لو رأته ؟ سأنزل القفص • (يقف على المقعد ويُنزل القفص ويعطيه للجارة) • ها هو العصفور يا ست غريّبــة ، ان كان فى زرقتــه الآن نقص فانه

سيستكملها فيما بعد ، وسترين ، ولكن هيّا ، احمليه سريعا الى بنتك •

الجــارة : أجادٌ أنت ؟ حقا ما تقول ؟ تعطيه لى هبةً منك ؟ من فورك ، وبلا عوض ؟ رب ، كم ستسعد هديتك ابنتى •

هــو : اذهبى بسرعة ، فبعض الطيور تبدّل أحيانا لونها •

الجــارة : سأعود لأخبرك بما قالته ابنتى ••

(تخرج) •

هــو : (يطيل التأمل فيما حوله) بابا ، ماما ، ماذا فعلتما بالبيت ؟ انه عين البيت ولكنه أكثر جمالا •

الأب : كيف زاد جماله ؟

هــو : نعم ، كأنما دارت عليه يد بطلاء جديد ، وبالترميم والاصلاح ، فكل شىء لامع ونظيف ، لم تكن هذه حاله فى السنة الماضية •

الأب : السنة الماضية ؟

هــو : (يذهب الى النافذة) وهذه الغابة التى أراها ، ما أكبرها ، ما أجملها ، انها لتبدو لعينى كأنها غابة جديدة أراها لأول مرة ، ما أسعدنى هنا ، (يذهب ليفتح صندوق الخبز) أين الرغيف ؟ انه

راقد باطمئنان ، ثم أين تيلو ؟ مرحبا يا تيلو . والعراك في الغابة . هل تذكره ؟

هي : وتيليت عرفتني ولكنها لا تكلمني .

هو : سآكل الآن الرغيف ، (يلمس جبهته) عجبا ، لم تعد الماسة معي ، فمن الذي أخذ قبعتي الصغيرة الخضراء ؟ لا بأس ، فأني لست في حاجة اليها . (ينظر الى المدفئة) آه ! هذه هي النار . ما ألذ جوارها ، انها تئز وهي تضحك لتغيظ الماء (يجري الى الصنبور) يا ماء ! أهلا بك ، ماذا تقول ؟ انها ماضية في الكلام ولكني لم أعد أفهمها بوضوح .

هي : وأين قمع السكر فاني لا أراه .

هو : ما أسعدني هنا . ما أسعدني .

هي : وأنا أيضا ، وأنا أيضا .

الأم : ماذا بهما ليدورا في البيت هكذا ..

هو : أما أنا فقد أحببت بسمة النور بالأخص ، أين المصباح ؟ هل أستطيع أن أضيئه ؟ (وهو متماد في التلفت حوله) كل ما أرى جميل ، ما أسعدني !

(يسمع دقا على الباب)

الأب : ادخل .

تدخل الجارة الست غريبة ممسكة بيد بنت صغيرة شقراء بهية الجمال تحضن عصفور تيلتيل الأزرق .

الجارة : أرأيتم المعجزة ؟

الأم : من يصدق ؟ انها تمشى !

الجارة : تمشى ، وتجرى ، بل ترقص .. حين رأت العصفور نهضت من فراشها الى النافذة قفزة واحدة لتتبين فى النور هل العصفور الذى جئتها به هو حقا عصفور تيلتيل ، واذا بها تنطلق فجأة الى الطريق ، كأنها ملاك يطير ، لم أستطع اللحاق بها الا بعد جهد شديد .

هو : (يقترب منها وينظر اليها بدهشة) ما أشبهها بسمة النور !

هى : ولكنها أضأل منها جسما .

هو : حقا ، غير انها ستنمو ..

الجارة : ماذا يقولان ؟ ألم يقلعا عن الهذيان ؟

الأم : هما الآن أحسن حالا وستمر الأزمة،وسيشفيان من الهذيان حين يتناولان الفطور .

الجارة : (تدفع ابنتها لتعانق تيلتيل) اذهبى اليه يا بنتى واشكريه .

(تيلتيل يغلبه الخجل ويتراجع خطوة) •

الأم : مـاذا بك يا تيلتيـل ؟ أتستحى من هـذه البنت الصغيرة ؟ قبّلها قبلة كبيرة • (يقبّلها قبلة صغيرة) قبّلها أفضل من هـذا • أين جرأتك المعهـودة ؟ قبلة أخرى • ولكن ماذا بك ؟ كأنك ستبكى ••

(تيلتيل بعد أن يقبل الفتاة بخجل يظل واقفا أمامها برهة وجيزة ، يتبادلان النظرات فى صـمت ثم يربت تيلتيـل على رأس العصفور) •

هـو : هل قنعت بزرقته ؟

البنت : نعم ، أنا راضية به •

هـو : رأيت طيورا أشـد منه زرقـة ، أما الطائر الذى كملت زرقته فلم نستطع اقتناصه رغم ما بذلناه من جهـد •

البنت : لا ضير ، فعصفورى جميل •

هـو : وهل أكل ؟

البنت : لم يأكل بعد ، وما أكله ؟

هـو : كل شىء ، حبّ القمح والأذرة والشعير وفتات الخبز •

البنت : وكيف يأكل ؟ قل لى •

هـو : بمنقاره ، تعالى أريك كيف يأكل •

(يمد يده ليتناول العصفور الأزرق من يد البنت فتمانع مدفوعة بغريزة حب التملك وينتهز العصفور الأزرق لحظة ارتباكهما فيفلت ويطير) .

البنت : (تند منها صرخة يائسة) ماما ، لقد طار .

(ثم تنخرط فى البكاء) .

هـو : لا تنزعجى،لا تبكى ، فانى سأقتنصه لك من جديد (يخطو نحو مقدمة المسرح ويخاطب الجمهور ــ اذا عثر عليه واحد منكم فليتكرم باعادته الينا فكلانا أنا والبنت الصغيرة فى حاجة اليه لننعم بالسعادة معا حين نكبر) .

(ختام)

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٧٢ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ـ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ـ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ـ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ـ مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	ـ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ـ الغربان	هنرى بك
٧	ـ اليكترا	جان جيرودو
٨	ـ توركاريه	ر . لوساج
٩	ـ الدائرة	سمرست موم
١٠	ـ شاترتون	الفرد ديفينى
١١	ـ الأم	كارل تشابك
١٢	ـ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ـ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	ـ عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦	عزيزي بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبــا	فدريكو غرسنيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس ومليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سينج

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	مينافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد آندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين يشسكو
٦٩	المسامر	جون أوسبورن
٧٠	أجازة	فيليب بارى
٧١	الجنوب	جوليان جرين

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الشركة المصرية للطباعة
حسن مذكور واولاده
٣٠ شـارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ ــ ٤٨٩٢١

روائع

المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب





الشركة المصرية للطب
ابريل ١٦٦

الثمن ١٠ قروش